Telegram:@mbooks90

حكايات بلاد الباسك الشعبية

جمعها وأعاد صياغتها
خوان كروث إغيرابيدي

ترجمة
عبدالهادي سعدون

تقديم

حكايات بلا حدود

تسكن الحكايات العالم وتتنقل من بلد إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى، وتتحول، وتختصر وتطول وتختلط مع الحكايات الأخرى. الحكايات تسكن الأحلام وتتنقل من ذهن إلى آخر، يتم نسيانها ويتم تذكرها، تستحم في مياه العواطف والمشاعر؛ تنبت وتتجذر في السهول أو المناطق الجبلية. تطير من مكان إلى آخر في أجواء الخيال والذاكرة والإبداع وتحترق بنار الرغبات والكلمات. تضيع القصص في عتمة الزمن، وهي تمر عبر العصور، سواء تلك التي نتذكرها ونوثقها أو تلك التي نحكم عليها في حفرة النسيان.

وصلت هذه الحكايات من أراضي الباسك جواً وبراً وبحراً. جمع إقليم الباسك قبل شعوب الهند الأوروبية التقاليد الأسطورية الأمومية، والتي اندمجت مع أخرى ساهمت بها الشعوب التي مرت عبر هذه الأراضي: السلتيون والرومان والقوط والعرب وجموع الحجيج الأوروبيين في طريقهم إلى أرض سانتياغو دي كومبوستيلا.

إنها حكايات من أراضي الباسك على جانبي جبال البرانس، جمعها باحثون مختلفون. لقد استندت بشكل خاص إلى تلك التي جمعها خوسيه ماريا ساتروستيغي في مقاطعة نابارا، وخوسيه ميغيل باراندياران وخوسيه أراتيبيل في غيبوثكوا. يتم سرد الحكايات بطرق مختلفة، حسب المناطق والتقاليد العائلية. في

هذا الكتاب أقصها عليكم كما كنا نفعل في البيت العائلي. في حكاية الملك والملح، نكرر أحياناً ثلاث مرات نزول ماريبيوخوسا إلى الحفلة، ويكون لباسها أولاً من الكتان، ثم الفضة وأخيراً من الذهب، وهو ما يمثل بشكل أدق وقت التحول النفسي للفتاة إلى امرأة.

هذه الحكايات التي بين يديك، يمكن أن تسافر إلى أراضٍ أخرى، وعائلات أخرى، وبالتأكيد ستتحول وفقًا لعاداتك وأذواقك. ربما ستتجول من منزل ريفي إلى حقل أو إلى كوخ. أتمنى أن تحلق من خلال خيالك وأن تنبت في أرضك.

خوان كروث إغيرابيدي

آخيتو

في زمن ماريا دي لوس آخوس، كانت تعيش فتاة في مزرعة مع والدتها ووالدها.

الفتاة، التي لم تكبر كثيراً، بقيت صغيرة جداً، وأطلقوا عليها اسم آخيتو.(1)

اعتنت الأم والفتاة بالماشية وعملتا بالأرض، بينما أمضى الأب فترات طويلة في الغابة حطاباً.

في أحد الأيام، أخذت آخيتو الأبقار لرعيها. كان هواءً دافئاً يهب من الجنوب، وكان من اللطافة والعذوبة أن آخيتو استلقت على العشب ونامت بدعة.

ابتلعت بقرة لاهية، دون أن تدرك ذلك، آخيتو مع حزمة أعشاب.

مر الوقت، وشعرت الأم بالقلق لأن آخيتو لم تعد بعد من المرج.

ـ يا للغرابة إذ لم تعد آخيتو حتى الآن. دعنا نرى إن كان قد خصل لها شيء!

فأسرعت راكضة إلى المرج حيث كانت الأبقار ترعى. كانت الأبقار ترعى بسلام، لكن لم يكن هناك أثر لآخيتو.

ـ آخيتو، آخيتو! أين أنت؟

ـ هنا! هنا! أجابت آخيتو من أحشاء البقرة.

أخيراً، سمعتها والدتها من بعيد.

ـ أنا داخل البقرة يا أمي!

قادت الأم الأبقار إلى الإسطبل، وانتظرت حتى أخرجت آخيتو رأسها الصغير من كومة السماد. وضعتها الأم في الحوض مباشرة، وفركتها وتركتها منقوعة حتى زالت عنها كل الأوساخ.

في مناسبة أخرى، اضطرت آخيتو إلى حمل سلة من الطعام لوالدها في الغابة. لأنها كانت تخشى الذهاب إلى الغابة بمفردها، وضعتها والدتها في أذن حمار يعرف جيداً الطريق الذي يجب أن يسلكه.

قامت بمهمتها دون مشاكل، وفي طريق عودتها إلى القرية، سمعت بعض الأصوات على جانب الطريق.

ثلاثة لصوص كانوا يقسمون المسروقات بينهم.

ـ هذا لي، هذا لك، وهذه لك...

تحدثت آخيتو لهم من أذن الحمار:

ـ وأين حصتي؟

كان اللصوص خائفين من سماع ذلك الصوت الغامض. لكن بما أنهم لم يروا أحداً، فقد استمروا بقسمتهم:

ـ هذا لي، هذا لك، وهذا لك...

فصاحت آخيتو بصوت أعلى:

ـ وحصتي؟

هذه المرة خاف اللصوص حقا وهربوا. لكن بما أنهم رأوا أنه لا أحد يطاردهم، عادوا إلى صنيعهم.

ـ هذا لي، هذا لك، وهذه لك...

صرخت آخيتو للمرة الثالثة بكل قوتها:

- وحصتي؟

اعتقد اللصوص أنهم مطاردين من ساحرة شريرة فركضوا «هذا يومك يا قدماي!!»، يدفع أحدهم الآخر حتى لا يبقى في المؤخرة.

خرجت آخيتو من أذن الحمار، وحملت المسروقات على ظهر الحيوان وأخذتها كلها إلى المنزل. أعادوا ما سرق لأهالي البلدة، ونالوا الكثير من الهدايا والشكر.

الإسكافي

كما هو الحال في أجزاء أخرى من العالم، عاش إسكافي في البلدة. مهما حاول جاهداً، لم ينجح أبداً في صنع حذاء، وبالطبع لم يتمكن من بيع أي حذاء.

بحثاً عن حياة أفضل، سافر حول العالم. وبعد مسيرة طويلة، وصل أحد المنازل. طرق الباب وفتحت له امرأة.

ـ سيدتي، هل يمكنك أن تمنحيني مأوى؟

ـ سأكون سعيدة، لكن ابني غول، وإذا وجدك هنا عندما يعود، فسوف يأكلك نيئاً.

«أنا لست خائفاً منه يا سيدتي. أسمحي لي بالبقاء في منزلك.

قدمت له المرأة العشاء واستقرت في العلية على القش.

بينما هو في غارقاً في الظلام، بدأ الإسكافي يشعر بالخوف واف النوم.

بعد لحظات، سمع انغلاق أحد الأبواب. ها قد وصل الغول. بمجرد دخوله الباب، بدأ يتشمم ارجاء المنزل.

ـ أشم رائحة لحم.

ـ فعلاً. أجابت المرأة: هناك رجل صغير في العلية يقول إنه لا يخاف من الغول.

قال الغول عندما بدأ يصعد السلم: «سوف أتحقق من الأمر الآن».

ارتجف الإسكافي من الخوف. بما أنه لم يكن لديه الشجاعة لمواجهة الغول، صرخ بكل قوته، لأنه كان له حنجرة قوية:

ـ ماذا تريد؟

لا شيء يمكن رؤيته في الظلام. وبسماعه مثل هذا الصوت القوي، تراجع الغول.

احترس مني. هاه! قال الغول. ولكنه قالها فقط وهو ينزل السلم.

بقي الإسكافي يعيش في المزرعة وأصبح صديقاً للغول.

ذات يوم، صعدا الجبل معاً ورأيا شجرة كرز مليئة بالكرز الأحمر.

أمسك الغول بالشجرة من أعلى وثناها حتى الأرض. أكلا الكرز حتى شبعا.

أمسك أخيراً الغول بيديه الكبيرتين بحفنة كرز كبيرة وسرعان ما امتلأت معدته. لذلك ترك الشجرة في حالها. كان الإسكافي متشبثاً بأحد اغصانها فطار فوراً.

ـ ماذا تفعل؟ سأله الغول.

أجابه الإسكافي: إنني أختبر خفة حركتي بالقفز عالياً.

ـ يا لها من قفزة! ذهش الغول.

وفي مناسبة أخرى، دخلا كهفاً يسكنه تنين.

قال الغول: «دعنا نقتل التنين».

انتظرا عند مدخل الكهف، لكن بما أنه لم يخرج، فقد عملا القرعة بينهما ليريا أيهما سيدخل إليه. فوقع الدور على الإسكافي. دخل إلى الأعماق، وعندما رآه التنين، عضه بأسنانه وخرج معه. حينئذ ضرب الغول التنين بالمطرقة وقتله.

تخلص الإسكافي بسعادة من أسنان التنين. ثم عبس ووبخ الغول:

ـ لماذا قتلت التنين وقد خرجت به ساحلاً له من لسانه.

قال الغول: «حسناً، بدا لي أنه كان على وشك التهامك.

ـ ها انت ترى أنه لم يكن ذلك، فقد كنت أجره من لسانه.

عادا إلى المنزل معاً. في اليوم التالي، شكر الإسكافي الصغير السيدة وابنها على كرم ضيافتهما وغادرهما للسفر حول العالم. ودعه الغول بعينين مليئتين بالدموع.

جرى الإسكافي مسرعاً إلى كهف التنين وقطع رأسه. ثم وضعه في كيس وحمله إلى ملك المقاطعة، الذي كافأه بكيس من الذهب. عندها عاد إلى بلداته ليعيش بسكينة وهدوء.

كلب الطاحونة والعصفورة المغردة

عاشت عصفورة مغردة في غابة بعيدة. كانت تستيقظ باكرا لتشيع الفرح بتغريدها. كل الطيور والوحوش كانت تحب العصفورة المغردة كثيراً.

صنعت عشها في شجرة دردار، ووضعت أربع بيضات، وبعد فترة ولدت أربعة طيور صغيرة، كل واحد يقول للآخر انا الأجمل. في البداية لم يكن لديها ريش يحميها من البرد ولا القوة الكافية للطيران. أمدتهم الأم بالطعام من المنقار إلى المنقار حتى كبروا وأصبحوا أقوياء.

في تلك الغابة عاش ثعلب شرير يستمع من عرينه إلى تغريد الطيور ويسيل له لعاب فمه.

ـ لا بد أن تكون تلك الطيور الصغيرة لذيذة! لو استطعت لالتهمتها حالاً!

خرج الثعلب من عرينه وتوجه إلى شجرة الدردار ليراقب العش. بعد فترة، جلست العصفورة المغردة على غصن بعد إطعام صغارها. نادى الثعلب من الأسفل:

ـ أيها الطير الصغير، أخبرني كم لديك من الصغار؟

أجابت العصفورة: «أربعة».

ـ كثيرون جداً والحياة صعبة في الغابة. لماذا لا تتعهدين لي بواحد منها لأعتني به. أرم به لي، اتوسل إليك.

ـ اترك صغيري في رعايتك، أنت مجنون؟

ـ انظري أيتها العصفورة الصغيرة: لقد جئتك بالوسائل الطيبة، اما الآن فسأستخدم ما بوسعي. إذا لن ترمي لي بأحد الصغار، سأقطع الشجرة وآكلكم كلكم.

وبدأ يضرب الجذع بذيله، كما لو كان يقطعه بمنشار.

«لا، لا، لا تفعل ذلك!» سوف أرمي لك بواحد لتتركنا وشأننا.

أسقطت الأم أحد صغارها. أمسكه الثعلب حالاً وابتلعه دفعة واحدة. لكنه كان صغيراً جداً... فالطائر الصغير لا يكفي لملء معدة ثعلب جائع.

ـ أيتها العصفورة! ثلاثة طيور كثيرة عليك جداً. أرم لي بواحد آخر.

أصبحت العصفورة المفردة متوترة جداً. لم تكن تعرف بماذا تجيب:

«كيف يمكنك أن تكون بهذه القسوة؟ إذا فعلت ما تطلب مني، سأموت من الحزن.

ـ تموتين؟ هذا أفضل لي. سوف أكلك أيضاً.

لم يظهر الثعلب الشرير أدنى تعاطف. إذ راح يأكل العصافير واحداً بعد الآخر. مع التهديد بقطع شجرة الدردار ورميها أرضاً. أما الأم، دون أن تعرف ما تفعله، رمت بصغارها الواحد تلو الآخر. لكن الثعلب لم يكن راضيا.

ـ تعالي أنت الآن بعد صغارك!

أجابته: «انتظر قليلاً».

«ولكن ماذا فعلت، ماذا فعلت!» تأسفت كثيراً وكأنها استيقظت من كابوس مريع. طارت بعيدًا وذهبت إلى مكان منعزل لتبكي بمرارة.

في اليوم التالي لم يصدح تغريد الطير المبهج في الغابة. كانت جميع الحيوانات حزينة، وذهبت لترى ما عليه من أمر. حتى كلب الطاحونة القريبة أصبح مهتماً بالطير المغرد، لأنه كان يستمتع كثيراً بتغريده كل صباح.

ـ ماذا جرى لك أيتها العصفورة، لماذا لا تغردين؟

راحت تبكي بمرارة، وأخبرته بما حدث بأفضل ما يمكن.

حينذاك قال لها كلب الطاحونة:

ـ حلقي في جميع أنحاء الغابة وأعلني بأغنيتك أن كلب الطحان قد مات. سأبقى هنا مستلقياً بجانب النهر.

جففت العصفورة المغردة دموعها بدس رأسها في ريش صدرها، وأخذت تغرد:

«كلب الطحان مات!» مات كلب الطحان!

سمع الثعلب الخبر من عرينه، فأسرع من فوره. لم يكن يطيق كلب الطحان، بل كان يكر ويخاف منه.

ـ صحيح ما تقوله؟ سأل العصفورة بحدة.

أجابت: «بالطبع أيها الثعلب». إنها الحقيقة الواضحة. هكذا قالوا لي، وهكذا أخبرك.

ـ وأين ترقد جثة هذا الكلب القذر البغيض؟

إنه مستلقي على ظهره بجوار نهر الطاحونة.

دون إضاعة الوقت، يركض الثعلب وكأنه يطير، كان سعيداً للغاية. يصل إلى النهر الذي يعبر الطاحونة، ويرى الكلب ملقى على الأرض، ويقترب على رؤوس أصابعه، ويشتمه، ويسحبه من ذيله... لكن الكلب لا يتحرك... الثعلب يسخر منه، يخرج لسانه، يبصق عليه، ويركله.

يهمس بغضب: «كنت أخاف دائماً من أن يقبض علي». وانظر إليها الآن، ببطن منتفخ إلى الأعلى ـ هذا الشيء الصغير القذر. خذ، خذ وخذ!

راح يركله دون توقف، يعضّ ساقه... ثم يرفع ساقه:

«الآن سأتبول فوق وجهك، ثم سأعضك من عنقك و...»

فجأة!! ينهض كلب الطحان. يعض أمعاء الثعلب ويفتحها عرضاً. العصافير الأربعة الصغيرة تطير بشكل أخرق، تزقزق بسعادة. تقتر منهم العصفورة المغردة لاستقبالهم، منشرحة وتقودهم إلى العش.

هرب الثعلب قدر استطاعته ممسكاً ببطنه المفتوقة. ثم اضطر للاختباء لفترة طويلة في عرينه حتى التأم الجرح. بعدها زالت رغبته في أكل الطيور إلى الأبد.

بيضة الطير

في منزل متهدم تعيش عائلة مكونة من أم وأب والعديد من الأطفال، اثنا عشر على وجه الدقة. في ذلك الشتاء، تساقط الثلوج وكان الجو بارداً جداً، ولم يكن هناك مكان للجميع حول النار.

وصل الأب ودخل المطبخ ورأى الأطفال يرتجفون من البرد. كانت الأم تحضر حساء من الطحالب، ولم يكن يغلي تماماً. لم يعرف الأب ماذا عليه أن يفعل. أمسك بالبندقية وذهب للصيد.

وهو يسير في الغابة، عثر على طير حظ على غصن شجرة الزعرور. كان للطير ريشًا أزرق وأصفر مدهشاً. صوب الرجل البندقية نحوه وفي الحال ارتجف الطير.

حزن الرجل « أنه مثل أطفالي».

عندما رأى الطائر أنه لم يطلق عليه النار، طار وحط على كتف الصياد، وبهذا الشكل عاد الرجل إلى المنزل.

ـ كم سيكون الأطفال سعداء! قال لنفسه.

من المؤكد أنه عندما عاد إلى المنزل، تم الترحيب به بفرح. صنع الأولاد عشاً من العشب الجاف، وأطعموه ما بقي عندهم من طعام قليل، ولعبوا معه حتى حلول الليل. في تلك الليلة، نام الجميع متوسدين احلامهم السعيدة.

في صباح اليوم التالي، نهض الأب أولاً ورأى بيضة جميلة في العش بجوار الطير رائع الألوان. حملها بيده ونزل إلى القرية ليريها للناس. علق أحدهم:

ـ هذه البيضة تساوي وزنها ذهباً.

أجاب الرجل: «حسناً، ليس لدينا في المنزل ما يكفي من الذهب!»

ذهب إلى المدينة واشتروها منه فوراً. عاد إلى منزله بكمية جيدة من الذهب وكيس من الطعام.

بعد أيام قليلة، وضع الطير بيضة أخرى، ثم بيضة أخرى. وربحت العائلة الكثير من الذهب.

في الوادي كان هناك قلعة، ووصلت قصة الطير إلى آذان سيد القلعة ففكر:

ـ لا بد ان احصل على هذا الطير.

في الليل، تحت جنح الظلام، دخل المنزل المتهدم وسرق الطائر. وضعه في قفص جميل وأطعمه أفضل قمح لديه. الطير المحبوس في غرفة مظلمة لم ير ضوء الشمس. على الرغم من كل شيء، في اليوم الثالث وضع بيضة.

Telegram:@mbooks90

حمل سيد القلعة، المبتهج، البيضة وهرول ليبيعها.

قال لتاجر: «أقدم لكم أروع شيء في العالم».

ـ لا تقل أي شيء. دعنا نتحقق من ذلك.

رأى أنها كانت بيضة عادية لا يميزها أي شيء.

ـ اسمع! قال التاجر غاضباً ـ لن تخدعني بصنيعك هذا.

ورمى البيضة في وجهه.

عاد صاحب القلعة غاضباً، قاصداً قتل الطير، لكنه وجد القفص فارغاً لأنه في عجلة من أمره، نسي إغلاقه.

في الربيع، الطائر ذو الريش الأزرق والأصفر يبهج الغابة بتغريده.

عندما حل الشتاء، عاد إلى منزل أصدقائه، واحتل العش الذي احتفظوا به له طوال هذا الوقت بجوار النار.

الملك والملح

كما هو الحال في أرجاء أخرى من العالم، كان للملك ثلاث بنات.

في إحدى المرات، دعا الكبرى وسألها:

ـ كم تحبيني؟

فقالت الابنة الكبرى:

ـ لا توجد كلمات في العالم للتعبير عن مدى حبي لك.

كان الملك مسروراً برد ابنته.

ثم دعا الابنة الثانية.

ـ كم تحبيني؟

فأجابت:

ـ بقدر ما يحب الأب الصالح ابنته.

كان الأب سعيداً جداً بالإجابة.

كما نادى على الابنة الصغرى:

ـ كم تحبيني أيتها الفتاة الصغيرة؟

فأجابت الابنة الصغرى:

ـ كثيراً! بقدر ما يحب الخبز الملح.

كان الأب مستاء من الإجابة. فقد رأى أن الملح لا قيمة له.

ـ إذا كان حبك لي بهذا الحجم، فاخرجي من هذا المنزل حالاً.

وطردها.

غادرت الابنة الصغيرة حتى الغابة وهي تبكي، عازمة على العيش في مكان منعزل بحيث لا يعرفها أحد. مشت بلا توقف، ووصلت إلى قلعة أحد السادة المهمين، وطلبت أن يتم توظيفها كخادمة. لكنهم عهدوا لها الاعتناء بالأوزات وأن تمضي بها كل يوم حتى الجبل بالقرب من البحيرة.

كان في الجبل مغارة نقشت فيها صورة العذراء. كانت الفتاة تقطف الأزهار وتضعها أسفل الصورة. ذات يوم، لدهشتها، تحدثت العذراء معها، وبسطت لها ذراعها.

ـ خذي هذه الحقيبة المليئة بالملح. ارتديها دائماً حول رقبتك، ومن وقت لآخر ارمي قبضة منه على نار الموقد.

فعلت الفتاة ذلك. لاحظت خادمات القلعة الأخريات أنها كانت تأخذ شيئاً من الصدرية وتلقي به في النار. ظنوا أنه قمل. وهكذا، بدأوا ينادونها بـ ماريا لا بيوخوسا، ومن تكرار ما رددوه مراراً عرفت بـ ماريبيوخوسا.(2)

بعد أيام، تحدثت إليها العذراء مرة أخرى:

ـ هناك حفلات في القرية. اذهبي واستمتعي.

ـ والأوزات؟

ـ هي في رعايتي.

ـ وكيف أمضي للحفل بهذه الخرق؟

ـ خذي هذه الجوزة واكسريها. في الداخل ستجدين كل ما تحتاجينه.

فتحت الجوزة وخرج منها ثوب بلون ذهبي وفضي وحذاء لامع. شعرت الفتاة بسعادة غامرة.

كانت فتاة جميلة جداً، رغم أن أحدا لم يدرك ذلك. عندما ظهرت في الساحة مرتدية ثوبها بلون الذهب والفضة، اندهش الجميع.

تمعن بها الابن الأكبر لسيد القلعة على الفور، ولم يرغب في الرقص مع أي فتاة أخرى سوى ماريبيوخوسا. وهي اعجبت بالفتى كثيراً، لأنها اعتقدت أنه جميل وله قلب طيب.

عند حلول الظلام، أراد الصبي أن يمشي معها حتى منزلها، ولم تكن ماريبيوخوسا تعرف ماذا تفعل للحفاظ على سرها آمناً.

قالت: «أنا متعبة». واستغرقت وقتاً في البحث عن عذر.

أجاب الصبي مشيرا إلى حجر: «لنجلس هناك».

مد الشاب يده إلى جيبه وأخرج خاتماً جميلاً ووضعه في إصبع ماريبيوخوسا. لقد رأت انه يناسبها تماماً.

ـ ما أجمله! ـ قالت الفتاة، فرحة.

ـ أنت الجميلة حقاً!

كان الفتى ينظر إلى ماريبيوخوسا مندهشاً، لأنها بدت أكثر جمالاً. من الإعجاب بها كثيراً، أغمض عينيه، كما لو كان في حلم، ونام. انتهزت ماريبيوخوسا الفرصة للمشي بعيدًا في صمت والعودة إلى الجبل لجلب الأوزات. غيرت ملابسها وأخفت الفستان الذهبي والفضي الجميل والحذاء اللامع في الكهف.

ـ أنت سعيدة؟ سألتها العذراء.

ـ أكثر من أي وقت مضى.

ـ الآن استمعي لي بعناية ـ واصلت السيدة العذراء حديثها ـ غداً ستخبز سيدة القلعة الخبز في المطبخ. اطلبي منها السماح لك بخبز

كعكة وأعملي على إخفاء الخاتم الذي ترتديه بإصبعك داخل الكعكة.

في صباح اليوم التالي، قبل أن تخرج مع الأوزات، طلبت الإذن من سيدة القلعة أن تسمح لها بعجن كعكة. السيدة تركتها تقوم بذلك. نظرت الخادمات الأخريات إليها بغضب.

ـ من سيأكل الكعكة التي عجنتها ماريبيوخوسا؟ قالوا لبعضهم البعض.

عملت ماريبيوخوسا في صمت. دفنت الخاتم بالعجين، ووضعت الكعكة في الفرن، وانطلقت إلى الجبل مع الإوز.

عندما أخرجت السيدة الأرغفة من الفرن، اندهشت من الكعكة التي عجنتها ماريبيوخوسا.

ـ يا لها من كعكة جميلة! صاحت.

قدمتها الأم لابنها الأكبر وقت الطعام. أصر الشاب أنها ألذ كعكة تذوها في حياته وعضّ على الخاتم الذي خبأته بداخلها.

سأل والدته: أريد أن أرى من عجن هذه الكعكة؟

بدأت جميع الخادمات في الهمس.

ـ بالتأكيد وجد قملة في الداخل. سوف يطرد هذا المقملة من المنزل.

ـ إن شاء الله! ـ قالت الواحدة للأخرى، لأنهن كن يغرن من ماريبيوخوسا.

عادت ماريبيوخوسا من الجبل بأقصى سرعة، وقد أرسلوا خادماً بطلبها. وصلت تنضح عرقاً. قادها الابن الأكبر من يدها وقدمها إلى والدته قائلاً إنه يريد الزواج بها.

تفاجأت الأم قليلاً لكنها أعطته موافقتها لأنها أحبت الفتاة.

دعوا الملوك وسادة المنطقة لحضور حفل الزفاف، بما في ذلك والد ماريبيوخوسا. تعرفت على والدها بمجرد أن رأته، لكنه لم يعرفها، لأن ابنته تغيرت وأصبحت أجمل من ذي قبل. أمرت ماريبيوخوسا الخدم:

ـ لهذا السيد قدموا خبزاً بلا ملح.

وفعل الخدم ما أمرتهم به.

بعد تناول الطعام، تجاذب العروسان حديثاً مع الضيوف، وسألوا كل ضيف كيف كان أكله. فعلت ماريبيوخوسا الشيء نفسه مع والدها:

ـ هل أكلت جيداً يا سيدي؟

ـ كان كل شيء لذيذاً. ضعي في اعتبارك: الخبز كان طيباً ولكن ينقصه الملح بعض الشيء.

ـ هل هذا يعني إذن أن الخبز يحب الملح؟ سألت ماريبيوخوسا. وأنا ألم احبك؟

عند سماعه أصيب الأب بدوار وسقط على الأرض. ثم عرفوا جميعاً أن العروس هي ابنة الملك.

تعلمت الخادمات ألا يحكمن على أي شخص من خلال مظهره. والأب من جانبه عرف ما معنى حب الابنة.

2

حكايات قاسية من بلاد الباسك

(الجنيات وزوجات الآباء والسحرة والتنانين)

تقديم

وعلى الرغم من كل شيء، تنتهي بنهاية سعيدة. يختبر الأطفال قسوة القصص كلعبة رمزية. مثلاً عندما نلعب معهم ونتصنع قطع أنوفهم، يأخذونها على محمل الجد ويطالبوننا بإعادتها إليهم. وبنفس الطريقة، يتم تجميع جسد مقطوع في قصة بفعل السحر، تماماً كما يحدث عندما نعيد الأنف إلى مكانه. إنها ليست لعبة باردة، إنها شيء خطير للغاية، لأن الطفل يختبره كتقطيع الأوصال وإعادة تكوينه نفسياً. يعتبر تقطيع أوصال النفس وإعادة تكوينها عملية أساسية في تكوين النفس وشفائها، سواء في مرحلة الطفولة أو في مرحلة البلوغ.

يقال إن الجنيات يعشن فيما بين الهواء والعدم. لديهن نوافذ صغيرة يطلّ منها ويلمحهن أولئك الذين يعرفون كيف يرون من خلال الشفافية: أي الأطفال. هناك الجنيات اللطيفات ذوات العصي السحرية، مثل ساحرات الباسك والـ لامياس(3) اللاتي يساعدن الجيران؛ وهناك جنّيات شريرات وساحرات شريرات يقمن مقام الأمّ أو الأب ولا يهدأ لهن بال حتى يقمن بتدمير البنات والأولاد على اختلاف مشاربهم.

البالغون منا، على الرغم من أننا لا نراهن مثل الأطفال، فنحن نعرفهن جيداً ونشعر بهن داخل أحشائنا، ونعرف الفائدة أو الضرر الذي يمكن أن تتسبب به عندما تسيطر على مشاعرنا وعواطفنا.

الشخصيات في هذه الحكايات موجودة داخل كل طفلة وطفل. جميع الشخصيات هي جوانب من شخصيته، والتي تنضج بشق الأنفس. يعيش داخل عقل كل طفل أمير أو أميرة، ملك أو ملكة، أو ساحرة شريرة، أو جنية جميلة، أو زوجة أب أو زوج أم. يحارب قلب كل طفل الكائنات الشريرة ويطلب المساعدة من القلوب الحميدة. إنها معركة قاسية، حياة أو موت. لهذا السبب هذه الحكايات قاسية. لكنها ليست بالمعنى

الأخلاقي، ولكن بمعنى إيقاظ الوعي النفسي. إن ما يسمى بقوى الشر تمزق الضمائر الضعيفة، والضمير الحي يعيد تكوينها بقوة متجددة. كما هو الحال في أسطورة إيزيس وأوزوريس، عملية تقطيع أوصال الجسد، ومن ثم جمع العظام وإعادة بنائها لاحقاً عن طريق النفس أو الغناء.

يكتشف الطفل أنه ينحدر من أب وأم أيا كانا يقومان بهذين الدورين في حياته؛ يجد في نفسه انعكاساً لأمه وأبيه، وحلمه أن يربط كلا الفكرين إلى الأبد، من أجل تقوية شخصيته والقيام بمغامرة الحياة بشجاعة.

ليس للأم يد لتنتشلنا من نهر الحياة. علينا أن نذهب إلى الأم الداخلية، إلى الجنية الجميلة حتى لا نغرق (حكاية: أم وطفلان). الأم ليس لديها ما يكفي من الحكمة لفهم كل شيء، علينا أن نجد الإبرة التي تخترق رأسها ونستخرجها (حكاية: الساحرة الشريرة). ولا يمكن للأب أن يحمينا من قبحنا، علينا أن نجعل الجمال الداخلي يزدهر بإيقاظ الجنية الجميلة التي نحملها بالداخل (حكاية: زوجة أب قاسية). لا يستطيع الآباء منعنا من مواجهة تنين الوجود والبقاء، علينا أن نجد في أنفسنا المغامر الشجاع الذي يقطع رأسه (حكاية: مورينيًا). نحن جميعاً نحمل داخلنا زوجة أب حسودة تتخلص منا وتقدم جسدنا المقطوع إلى الأب غير المدرك للمشكلة. مثل إيزيس وأوزوريس، نواجه الموت وتقطيع أوصال شخصية الطفولة البريئة وبعث شخصية بفستان أحمر جديد مليء بالحياة وبسلسلة ذهبية تختم الزواج الداخلي (حكاية: أمي قتلتني وأبي أكلني).

نأتي من الهواء

وإلى الهواء نمضي

في الاحلام او اليقظة

هواءً نتنفس.

أم وطفلان

منذ زمن بعيد، أنجبت امرأة ورجل توأم، بنت وصبي. اضطر الزوج لمغادرة بلده، واستأجر امرأة عجوز لرعاية الأم الشابة وحديثي الولادة.

بمجرد مغادرة الزوج، نادت المرأة العجوز على الخادم وأمرته بما يلي:

ـ احمل الأم والتوأم إلى الجبل. اقتلهم واجلب لي يدي الأم وقلبها.

حمل الخادم الأم الشابة والتوأم معه. رافقهم رحلتهم جرو. عندما وصلوا إلى الجبل، قال الخادم:

ـ اسمعيني أيتها المرأة: لدي أوامر بقتلك مع طفليك.

انفجرت الأم الشابة بالبكاء وتوسلت إليه:

ـ اقتلني، لكن لا تقتل طفلي.

أشفق عليها الخادم، لكنه خاف من المرأة العجوز. أمسك الأم الشابة بقوة وقطع كلتا يديها. وانتزع قلب الجرو. نجا الطفلان وكذلك الأم، رغم أنها تُركت بلا يدين. علق الخادم كيسين صغيرين حول عنق الأم، أحدهما في الأمام والآخر في الخلف، ووضع الطفلين داخلهما. ثم تركهم في الجبل.

سارت الأم من جانب إلى آخر بلا حول ولا قوة. اقتربت من النهر وطلب الأطفال الماء.

انحنت الأم عند الضفة حتى يتمكن الأطفال من شرب الماء. لكنهما انزلقا وسقطا في النهر. لم تستطع الأم حملهما، وجرفهما التيار بعيداً.

الأم الشابة، باكية، صعدت على صخرة بنيتها إلقاء نفسها في الماء. في تلك اللحظة، ظهرت لها امرأة جميلة مع عصا في يدها على الشاطئ

المقابل.

ـ ماذا جرى، حتى تبكين بيأس؟

أظهرت لها الأم الشابة ذراعيها المقطوعين وأخبرتها بين شهيق وآخر أن النهر اختطف طفليها.

قالت الجنية الجميلة: «اغمري ذراعك الأيمن في الماء».

نزلت الأم الشابة من فوق الصخرة وغمست ذراعها في النهر. سحبته للخارج، ظهرت بيد بيضاء جميلة.

ـ الآن اغمري الذراع اليسرى.

وعندما أخرجتها، نبتت من الماء يد جميلة أخرى.

ركضت الشابة من أجل طفليها، وأمسكت بهما وسحبتهما من الماء على عجل. ما أن اخرجتهما حتى ظهر التوأم على قيد الحياة يبتسمان.

قدمت الجنية الجميلة عصاها للأم الشابة.

ـ خذي هذه العصا. اصعدي إلى قمة الجبل وسترين مرجاً رائقاً. ارسمي خطًا في المنتصف باستخدام العصا وانتظري لتري ما سيحدث.

كما أشارت عليها الجنية الجميلة، صعدت الأم الشابة مع طفليها إلى قمة الجبل. في منتصف المرج، رسمت خطًا بعصاها، وظهر أمامها منزل صغير أبيض لامع. مكثت في المنزل مع طفليها اللذين نشئا بصحة جيدة وقوة هائلة، وكانا جميلان كالشمس والقمر.

في إحدى المرات، اقترب من البيت ثلاثة صيادين. طلبوا مأوى لهذه الليلة. سمحت لهم الأم الشابة المبيت في المنزل.

بعد العشاء ذهب الجميع إلى الفراش. طرق أحد الصيادين باب الأم

الشابة ودخل. رجته المرأة:

ـ اغلق النافذة رجاء؟

أغلق الصياد النافذة، لكنها انفتحت مرة أخرى. وكان على الصياد أن يقضي الليل كله في إغلاق النافذة مراراً وتكراراً.

في اليوم التالي، ذهب الصيادون للصيد وعند غروب الشمس عادوا لطلب المأوى في بيت المرأة الأبيض. بعد أن ذهبوا جميعاً إلى الفراش، دخل صياد ثانٍ غرفة الأم الشابة، وقضى الليل أيضاً في إغلاق النافذة.

في اليوم الثالث، حدث الشيء نفسه: هذه المرة، طرق الصياد الثالث باب الأم الشابة.

لكن المرأة لم تطلب منه إغلاق النافذة.

في صباح اليوم التالي، ركض طفل المنزل إلى الصياد الثالث ليقدم له وعاءً من الماء.

ـ اشرب بعض الماء يا أبي، حتى تتمكن من غسل يديك ووجهك.

ثم جاءت البنت وقدمت له منشفة.

ـ خذ هذه المنشفة يا أبي، حتى تتمكن من تجفيف يديك ووجهك.

اندهش الصياد من كلام الطفلين، وطلب من الأم الشابة أن تخبره ما يجري.

أخبرته المرأة بما حدث. أدرك الصياد أنه كان يتحدث مع زوجته التي اختفت منذ سنوات.

نزلوا من الجبل وذهبوا إلى منزلهم. عندما شاهدتهم العجوز من النافذة، احترق جسدها مثل عود الثقاب وتحول إلى حفنة من الرماد.

بالتأكيد كانت ساحرة شريرة.

ساحرة شريرة

مثل الكثير في هذا العالم، يعيش في بلدة ما زوجان مع طفل كان بمثابة شمس المنزل.

ذات مرة، أجلست الأم طفلها في حجرها، تحت ظل شجرة دردار. مرت امرأة عجوز على الطريق واقتربت من الأم وسألتها:

ـ هل تريدينني أن أمشط شعرك؟

ـ لا حاجة لذلك، شكرا جزيلا لك.

ـ لقد أفسدت شعرك يا امرأة. تعالي، دعيني أمشط شعرك.

قالت الأم: «حسنًا» تاركة رأسها بين يدي المرأة العجوز.

نظراً لأن المرأة العجوز كانت ساحرة شريرة، فقد ثقبت رأس الأم بدبوس دبوسًا رفيع، وتحولت على الفور إلى حمامة وحلقت بعيداً. أخذت الساحرة مكان الأم تحت شجرة الدردار والطفل بين ذراعيها.

أخذ المارة يعتقدون أنهما الجدة والحفيد، لكن الساحرة أنكرت ذلك:

ـ أنا والدة هذا الطفل. ساحرة شريرة صيرت بشرتي مجعدة.

وصدقها الناس.

كما صدق الزوج الشاب كلام الساحرة التي أصبحت سيدة المنزل.

غالباً ما تحط الحمامة في البستان. أراد الزوج الشاب أن يمسك بها، لكن الساحرة منعته.

ـ لماذا تريد تلك الحمامة المسكينة؟

ذات يوم، بينما كانت الساحرة نائمة تحت شجرة الدردار، أمسك الزوج

الشاب بالحمامة التي لم تطر للفرار. قام الرجل بتمسيد ريشها، وبقيت الحمامة ثابتة تماماً. حاول أن يمسد لها رأسها ولاحظ وجود نتوء صغير فيه. فحصه وأدرك أنه رأس دبوس. أخرجها بحذر شديد، وفجأة تحولت الحمامة إلى زوجته الشابة. عانقها بحماس.

كانت الساحرة لا تزال تشخر تحت شجرة الدردار. شعر الزوجان بالبرد عند رؤية طفلهما بين ذراعي ساحرة شريرة. اقتربا بهدوء شديد، وغرزت الأم الشابة الدبوس في رأس الساحرة، التي تحولت على الفور إلى خفاش وطارت بعيداً.

جلس الزوجان الشابان في ظل الشجرة، وهما يداعبان طفلهما.

ـ تعال يا شمس البيت، تعال مع والدك وأمك.

زوجة أب قاسية

ذات مرة، أصبح الزوج الشاب أرملاً مع طفلة تحت رعايته؛ كانت فتاة جميلة.

بعد فترة، تزوج الأرمل الشاب للمرة الثانية وأنجب ابنة أخرى من المرأة الجديدة. كانت الفتاة جميلة ولكن لها تعابير قبيحة جداً مثل والدتها. وهذا جعلها قبيحة بنظر الآخرين، لذلك كرهت الأم الجديدة في سرها ابنة الزوج الجميلة.

لسوء الحظ، توفي الأب الشاب وترك الفتاتين في رعاية والدتهما. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى تظهر زوجة الأب كراهيتها الشنيعة للفتاة الجميلة. وذات يوم ذبحوا خنزيراً في البيت. مع برد الشتاء القاسي، أمرت الأم الفتاة الجميلة بالنزول إلى النهر بملابس خفيفة لتنظيف أمعاء الخنزير. مع برد الصقيع، تجمدت يداها، وجرفت المياه أمعاء الخنزير.

بدأت الفتاة الجميلة تبكي خائفة حتى الموت.

ـ لماذا تبكين؟ سألت جنية جميلة من الضفة المقابلة.

اخبرتها الفتاة لماذا.

ـ أي أم يمكن أن تعامل ابنتها بهذا الشكل؟

ـ هي زوجة ابي.

ـ لا بد أن تكون زوجة أب. لأن الأم لا تفعل ذلك.

أمرتها الجنية الجميلة:

ـ اغمري يديك في الماء مرة أخرى.

أطاعت الفتاة الجميلة. كان الماء فاتراً، وعادت الأمعاء إلى يديها نظيفة

تماماً. وضعت الجنية الجميلة نجمة ساطعة على جبهتها، وعادت الفتاة الجميلة إلى المنزل سعيدة.

دخلت الفتاة المنزل أكثر جمالاً ولمعاناً من أي وقت مضى، وقد أنجزت المهمة. زوجة الأب، التي كانت على وشك الانفجار بغضب، وهي تأكل روحها من الداخل. أخبرتها الفتاة الجميلة بكل شيء: مظهر الجنية الجميلة والمساعدة التي قدمتها لها.

عندما ذبحوا خنزير آخر، أرسلت الأم ابنتها الثانية، حسنة الملبس. على الشاطئ، تظاهرت الفتاة بأنها ترتجف وتركت الماء يجرف أمعاء الخنزير.

عند هذا، ظهرت ساحرة عجوز على الشاطئ المقابل، وسألت عن الأمر.

ـ والدتي أرسلتني لتنظيف بعض الأمعاء، وقد جرفها النهر.

ـ هذا لا شيء يا فتاة. كان من الممكن أن يكون أسوأ ليحمل الخنزير كاملاً.

كان على الفتاة العودة إلى المنزل خالية الوفاض. كذلك بمجرد دخولها المنزل، ظهرت بثرة بحجم حبة الجوز على جبهتها.

اهتزت الأم من الغضب عندما رأت ابنتها تأتي بمثل هذا المظهر لتحكي ما حدث لها مع الساحرة.

واستمروا في العيش على هذا النحو لفترة.

عندا حل الربيع، أمرت زوجة الأب الفتاة الجميلة أن تصعد الجبل حافية القدمين للحصول على الفراولة. سرعان ما سلخت قدميها وبدءا ينزفان. رأت كوخ الفحام وطرقت على الباب. أشفق عليها الفحام وسمح لها بالدخول.

ـ أرسلتني والدتي لأقطف الفراولة، لكني لم أجد أياً منها.

ـ البحث عن فراولة حافية القدمين؟ أي أم هذه؟

ـ هي زوجة ابي.

ـ لا بد أن تكون زوجة الأب. لأن الأم لا تفعل ذلك.

أظهر لها الفحام حقلاً من الفراولة ودعاها لقطف ما تريد. عندما كانت الفتاة الجميلة تستعد للعودة إلى المنزل بحقيبة ممتلئة، تحدث معها الفحام على النحو التالي:

ـ لقد قمت بعمل جيد، لكن لا أحد سيشكرك. حان الوقت لكي تدافعي عن نفسك. من الآن فصاعداً، في كل مرة تقولين كلمة، ستتحول إلى ذهب.

عادت الفتاة الجميلة إلى المنزل سعيدة. فوجئت زوجة الأب برؤية كومة الفراولة. أخبرتها الفتاة الجميلة ببراءة عن لقائها مع الفحام. أمرتها زوجة الأب التي كانت على وشك أن تنفجر بغضب:

ـ اصطحبي أختك إلى كوخ الفحام. اتركيها وشأنها وعودي إلى المنزل على الفور.

أنجزت الفتاة الجميلة مهمتها. سأل الفحام الفتاة الأخرى:

ـ ما الذي تفعليه هنا؟

ـ أرسلتني والدتي لأحصل على الفراولة.

«ألم تحمل أختك ما يكفي منها؟» اذهبي وابحثي عنها بنفسك!

ـ ليس هذا فقط، لقد أعطيتها ذهباً أيضاً.

ـ حسناً انظري: لدي أيضاً هدية لك. في كل مرة تخرج كلمة حسد من فمك، ستتحول إلى ضفدع.

عادت الفتاة إلى المنزل بحزن. لم تكن مستعدة للحديث بأية كلمة!

«ما خطبك يا ابنتي؟»

كانت الفتاة حريصة جداً على عدم النطق بأية كلمة حسودة، لذا أخبرتها بكل شيء.

اشتعلت الأم بنيران الكراهية والغضب. لكنها لم تستطع إيجاد طريقة لتدمير ابنة زوجها.

حل الصيف رفقة الاحتفالات، فأرادت الأختان الذهاب إلى احتفالات القرية المجاورة.

قالت لهما الأم:

ـ حسناً، أريد أن أذهب أنا أيضاً، سيتعين على أحداكما البقاء في المنزل.

نحن نعلم بالفعل من كان عليها البقاء في البيت.

وحتى لا تهرب، حبستها زوجة الأب في حظيرة الخنازير. كانت الفتاة الجميلة تبكي مصيرها الحزين.

في نوبة البكاء ظهرت الجنية الجميلة مرة أخرى.

ـ هل وصل الأمر إلى هذا؟ تعالي. اغسلي شعرك ومشطيه.

ثم كسرت الجنية حبة بندق وسحبت منها فستاناً أنيقاً وحذاءً لامعاً.

ـ ارتدي ملابسك واركضي إلى الميدان. عندما تعودين، أغلقي على نفسك مرة أخرى في الحضيرة.

ظهرت الفتاة الجميلة في الحفلة. لم يكن هناك من يضاهي جمالها. ابن الملك لم يرد أن يرقص مع فتاة غيرها. عند حلول الليل، ركضت الفتاة

الجميلة إلى الحضيرة. هناك أخفت ملابسها وارتدت الخرق، كما كانت عليه من قبل.

أثناء العشاء، تحدثت زوجة الأب والأخت غير الشقيقة مندهشتين:

ـ يا لها من فتاة جميلة تلك التي رقصت مع ابن الملك!

ـ ويا له من فستان أنيق! بالتأكيد هي ابنة شخص مهم.

قالت الفتاة الجميلة بخجل: «ربما كنت أنا...».

ضحكت زوجة الأب والأخت بصوت عالٍ.

في اليوم التالي حدث الشيء نفسه. بعد الرقص مع ابن الملك، عادت الفتاة الجميلة إلى حضيرة الخنازير.

في اليوم الثالث كان ابن الملك ينتظرها بفارغ الصبر. عندما ظهرت الفتاة الجميلة، رقص معها وكان الجميع ينظرون إليها. في المساء، أراد الشاب أن يسير معها إلى منزلها، لكن الفتاة الجميلة لم تسمح له بذلك. لكن نجل الملك أراد أن يعرف أين تعيش الفتاة الجميلة. اعترفت الفتاة له وركضت عائدة، بعجالة حتى لا يكتشف امرها.

في وقت العشاء، لم يكن لدى زوجة الأب والأخت غير الشقيقة موضوع آخر: الفتاة الجميلة التي رقصت مع ابن الملك. كانت الفتاة الجميلة صامتة.

مر الوقت وحلّ الخريف. وذات يوم طرق الباب رسول من الملك.

ـ باسم الملك أعلن زيارة ابنه لهذا المنزل.

أصيبت زوجة الأب والأخت بالصدمة، وشعرتا بالتوتر.

« ابن الملك في بيتنا!»

قامتا بتنظيف المنزل من فوق إلى أسفل وأعدتا أشهى الأطعمة التي تعرفان طبخها. في اليوم التالي، فتحت زوجة الأب صندوقاً وبدأت بتنظيفه.

«ساعدني في تنظيف الصندوق» أمرت الفتاة الجميلة.

أطاعت الفتاة الجميلة. ثم دفعتها زوجة الأب إلى الداخل وقفلت عليها الصندوق.

وصل ابن الملك برفقة كلبه. حيا المرأتين ونظر حوله وكأنه يبحث عن شخص آخر. لكنه لم يقل أي شيء.

جلس على طاولة المطبخ وقدمتا له الطعام. لم تعرف المرأتان عن ماذا يتحدثن، لذا صمتن. تحرك الكلب جيئة وذهاباً وفجأة بدأ ينبح قرب الصندوق.

عووووووووووو...عووووووووووووو

شيء ما محبوس ها هنا!

ـ ماذا يريد أن يخبرنا هذا الكلب؟ قال ابن الملك.

ـ لا شيء حتماً ـ ردت زوجة الأب وركلت الكلب خلسة.

لكن الكلب لم يصمت وزاد نباحه:

عووووووووووو...عووووووووووووو

شيء ما محبوس ها هنا!

أمر نجل الملك بفتح الصندوق.

لم تجرؤ زوجة الأب على مناقضته. عند فتح الغطاء، ظهر وجه الفتاة الجميلة، ونجمتها على جبينها ونظرتها موجهة نحو السماء.

أخرجها ابن الملك من الصندوق دون أن ينبس ببنت شفة وأخذها معه إلى القصر.

زوجة الأب والأخت بقيتا محرجتان مدى الحياة. ولم يعاقبهما ابن الملك لأن الفتاة الجميلة توسلت إليه أن يتركهما لحالهما.

إذا كان الأمر كذلك أو إذا كان غير ذلك،

فقد صدقه الناس تماماً.

مورينيا

في زمن ماريكاستانيا(4)، عاش فتى مع والديه في منزلهم الريفي. ولد فقيراً وعاش فقيراً ولم يكن أمامه مستقبل واعد.

لما كبر قال لأمه:

ـ سأبحث عن عمل يا أمي، سأسافر في طول العالم وعرضه.

تأسفت الأم للغاية، لكن ماذا كانت ستفعل؟ لا يمكنهم الاستمرار على هذا المنوال. فوضعت نصف رغيف في كيس وأرسلت ابنها ليجوب حول العالم.

ودعه والده ووالدته عند عتبة المنزل والدموع في عيونهما.

سار الشاب طوال اليوم، وذهب إلى الغابة وجلس على ضفاف نهر ليأكل قطعة من الخبز الذي كان يحمله في حقيبته. عندما همّ بمضغه، ظهرت له امرأة جميلة على الضفة الأخرى من النهر.

«ماذا تفعل هنا أيها الشاب؟»

لقد غادرت المنزل للبحث عن عمل.

«هل لديك شيئاً لآكله؟»

ـ لدي هذا فقط. يمكننا اقتسامه.

ـ القليل منه يكفيني.

أكلا معاً وشربا من ماء النهر.

«ألا تخاف من الغابة؟» سألت المرأة ـ هذه الأماكن خطيرة للغاية.

«وماذا سأفعل؟» ليس لدي خيار آخر.

ـ أنا أعرف هذه الأماكن جيدا. خذ هذه العصا لربما احتجتها. احملها معك دائماً؛ لا تتركها في أي مكان. عندما تجد نفسك في مأزق، فلن تجد نفسك عاجزاً.

أعطته المرأة العصا واختفت بين الأشجار.

نهض الشاب وبدأ يمشي. سار دون توقف، حتى التقى بفتاة ذات شعر داكن، وحيدة أيضاً.

ـ إلى أين أنتِ ذاهبة وحدك يا فتاة؟ ما اسمك؟

إنهم يدعونني بـ موريتيا.(5) وأنا متوجهة إلى قبري.

«إلى قبرك؟» ولكنك لا تزالين شابة وبصحة جيدة.

ـ بعد نصف ساعة سوف يلتهمني التنين. اليوم جاء دوري. لن تراني بعد الآن.

ـ سأذهب معك.

ـ من الأفضل ألا تفعل. التنين لا يهتم إذا أكل واحداً أو اثنين.

ـ سنفعل شيئًا آخر، موريتيا. سأذهب مكانك.

ـ مستحيل! لقد جاء دوري.

لم يبتعد الشاب عن موريتيا. راقبته بطرف عينها، سعيدة، لكنها أيضاً شديدة الندم.

عندما وصلا إلى مدخل كهف التنين، توسلت إليه الفتاة:

ـ ارجوك ان ترحل. إذا لم يكن كذلك، فسوف تموت معي.

ـ ثقي بي يا موريتيا.

ـ لم يخرج أحداً من هنا حياً.

في تلك اللحظة، علا زئير يصم الآذان من بطن الأرض، وارتعدت أشجار الغابة. رأيا ضوءً أحمر وأزرق، انعكاساً للهب الذي أطلقه التنين من فمه. بعد فترة، ظهر وحش رهيب بثلاثة رؤوس.

أخرج الشاب العصا وضرب أحد الرؤوس. بصوت رهيب، حاول رأس آخر عض ذراع الشاب، لكنه ضربه أيضاً بالعصا. وفعل الشيء نفسه مع الرأس الثالث. سقط التنين ميتاً عند قدميه.

رفعت مورينيا يديها إلى رأسها، بين الذعر والدهشة. قطع الشاب رؤوس التنين الثلاثة. وقطع الألسنة الثلاثة التي حفظها في كيس الخبز.

لم تتمكن الفتاة من النطق بكلمة. بدا لها أنها تعيش حلماً.

انحنى الشاب أمامها وقطع شريطا من التنانير الثلاثة التي كانت ترتديها. ثم قال وداعاً واستمر في طريقه.

هبطت مورينيا حتى قصر الملك، واستقبلها والدها.

ـ يا ابنتي! انت على قيد الحياة.

ـ ظهر شاب وقتل التنين.

«وأين الشاب؟»

ـ لقد رحل. لم أسأل حتى عن اسمه. كنت خائفة جدا ومتوترة.

أعد الملك حفلة كبيرة وأرسل رسالة في كل مكان:

ـ أمنح عطاءً عظيماً للشاب الذي قتل التنين... ليحضر أمامي!

أراد الكثير من الناس الحصول على المكافأة، ولكن كيف يثبتوا أنهم قتلوا التنين؟

عند هذا تقدم راع في القصر:

ـ أنا من قتل التنين!

ـ وكيف نعرف أنه صحيح؟

ـ هنا رأسه.

كذلك الحطاب كان يجوب في الغابة، عندما وجد التنين الميت والرؤوس الثلاثة على الأرض؛ أمسك بأحدهم وذهب إلى القصر.

استغرب الملك جداً، وقال له:

ـ تعال معنا أنت أيضاً فيكون لك طعام وشراب بكثرة. وغدا ستعود إلى المنزل بالمكافأة.

وكان هناك شخص آخر طرق باب القصر: الفحام.

ـ أنا من قتل التنين!

ـ وكيف نعرف أنه صحيح؟

ـ هنا رأسه.

قال الملك «إذن تعال معنا أيضاً، فيكون لك طعام وشراب بكثرة. وغدا ستعود إلى المنزل بالمكافأة.

كانت موربنيا متأزمة. لم يكن أي من هؤلاء الشبان الثلاثة هو الذي أنقذها. لم يعرف الملك ما يمكن توقعه، لكنه قرر الاستمرار في اللعبة وأعلن:

ـ من قتل التنين سيتزوج ابنتي»

في هذه الأثناء، سار الشاب الوحيد عبر الغابة. علم من فم أحد الفلاحين أنه يتم الاحتفال بحفلة كبيرة في قصر المدينة.

قرر الشاب «حسناً، ها أنا ذا».

استدعى الملك كل الشعب للحفلة. وتحدث هكذا:

ـ تقدم ثلاثة رجال زاعمين أنهم قتلوا التنين. لا بد لي من اختيار واحدة منهم للزواج من ابنتي، ولكن كيف نعرف من منهم قتل الوحش؟

كان الناس صامتين. الشبان الثلاثة أيضا. كانت مورينيا حزينة، حزينة جداً.

في تلك اللحظة، صاح صوت في منتصف الصمت.

ـ أنا من قتل التنين!

ـ لدينا رجل شجاع آخر؟ قال الملك.

خفق قلب مورينيا عند سماع هذا الصوت. اقترب الشاب ببطء.

«هل هذه الرؤوس الثلاثة لها لسان؟» ـ أسأل.

أمر الملك أن يقربوا له الرؤوس. لم يكن لها ألسن.

ـ ماذا كانت ترتدي مورينيا أمام التنين؟ سأل الشاب مرة أخرى.

صمت الرجال الثلاثة الآخرون. أخرج الشاب الألسن الثلاثة من الحقيبة دون أن يرفع عينيه عن مورينيا، التي واجهته بابتسامة عريضة.

Telegram:@mbooks90

قال الشاب مرة أخرى:

ـ هذه ثلاث قطع من القماش تتوافق مع التنانير الثلاثة التي كانت مورينيا ترتديها عندما واجهت التنين.

شهق الناس بدهشة وانشغلوا بالتصفيق.

بعد ذلك تزوج الشاب من ابنة الملك وأرسل لوالديه عدداً هائلاً من

البضائع والهدايا.

أما الشبان الكاذبون الثلاثة فقد عوقبوا بالتأكيد ولكن لا أنباء عن ذلك.

قتلتني أمي وأبي أكلني

«قتلتني أمي، ابي اكلني.

أختي الجميلة أعادتني إلى الحياة.»

زوجان لم يكن لهما أطفال وكانت المرأة تشكو حظها التعيس.

بجانب المنزل، بستان جميل. ذات شتاء، غطت الثلوج البستان. خرجت المرأة إلى البستان، وخزت نفسها في شوكة العرعر؛ تركت بقعة دماء على الثلج الأبيض.

ـ إذا أنجبت طفلاً ـ تنهدت برغبة ـ . طفل وردي مثل هذا الدم وأبيض مثل هذا الثلج.

مر الوقت، وأخيراً رزقت بطفل جميل.

ومع ذلك، كانت الأم في حالة ذهول. وتحدثت مع زوجها:

ـ إذا مت قريبًا، أود أن تدفني تحت العرعر في الحديقة.

ـ ولكن ماذا تقولين يا عزيزتي؟ لن تموتي قريبًا. سوف نشيخ معاً.

لكن ذلك حدث. توفيت الأم الشابة بعد أيام قليلة، ودُفنت تحت شجرة العرعر في البستان.

تزوج الرجل مرة ثانية وتبنيا فتاة. نشأ الشابان معاً وعاشا مثل الأخوة الطيبين. ومع ذلك، لم تستطع الأم الجديدة أن تنجب طفلاً.

في مناسبة معينة، ذهب الأب للعمل في الحقول، وبقيت الأم لتعتني بالفرن. احتاجت إلى بعض الأغصان الجافة لإشعال النار وأرسلت الطفلين إلى الغابة لجمعها.

وعدتهما « من يعود أولاً سيأكل أكبر كعكة».

ذهب الطفلان إلى الغابة وجمعا ما يكفي من الأغصان الجافة. فجأة شعر الشاب بالحاجة.

سأل أخته: «انتظري قليلاً». لا بد لي من أن أنزل سروالي لقضاء حاجتي.

ـ لن تخدعني ـ ردت الأخت. لتذهب بعدها قبلي وتحصل على الكعكة الكبيرة، أليس كذلك؟

تركت الفتاة شقيقها وعادت مسرعة إلى البيت.

انتهى الشاب من القيام بعمله وذهب في أثر أخته. وصل إليها. كانت الفتاة متعرقة ومرهقة.

ـ انتظرني يا أخي. لا أستطيع الجري أكثر من ذلك! ترجته شقيقته.

ـ لن تخدعيني ـ رد الأخ. لتذهبي بعدها قبلي وتحصلين على الكعكة الكبيرة، أليس كذلك؟

وترك أخته وراءه وكان أول من وصل.

ـ أمي! صرخ. وطرق على الباب. افتحي!

أمرت زوجة الأب: « دس يدك عبر النافذة».

أطاع الولد، وقطعتها المرأة الشريرة بفأس.

«الآن الأخرى»، أمتثل لها مرة ثانية.

وقامت بقطعها، ثم الساقين وأخيرا الرأس. ثم فتحت الباب وألقت القطع في قدر كبير، وتركتها تطبخ.

وصلت الفتاة تلهث وسألت والدتها عن أخيها.

ـ لا بد انه ذهب عند الجدة، ليرى الجراء حديثة الولادة.

ركضت الفتاة إلى منزل جدتها، لكن شقيقها لم يكن هناك.

ـ لا بد انه ذهب عند الجدة الأخرى، ليرى الأبقار حديثة الولادة. قالت لها الأم

في تلك اللحظة، انتبهت الفتاة للقدر الذي كان يغلي، ورأت إصبعاً يطل منه. لم تسأل أكثر عن أخيها.

بعد ذلك، أمرتها الأم بإحضار الطعام إلى والدها. غادرت الفتاة مع الصحن ولم تتوقف عن البكاء أثناء الرحلة. كان تعلم أن والدها سيأكل جسد أخيها.

وفجأة ظهرت له جنية جميلة.

«لماذا تبكين يا فتاة؟» سألت.

ـ زوجة أبي قتلت أخي، وسوف تطعمه لأبي.

عند ذلك أمرتها الجنية الجميلة:

ـ التقطي العظام التي يرميها والدك على الأرض واجمعيها على السطح.

وهذا ما قامت به الفتاة. كانت تتسلق السطح كل يوم ومعها المزيد من عظام أخيها، وتبكي معها بلا هوادة.

شيئا فشيئاً، قامت زوجة الأب القاسية بإطعام الأب جسد الطفل بالكامل.

ذات ليلة رفعت الفتاة آخر عظم من عظام شقيقها إلى السطح وسقيها بدموعها. في صباح اليوم التالي، سمع من غرفتها أغنية قادمة من

السطح:

«قتلتني أمي وأكلني أبي؛

أختي الجميلة أعادتني إلى الحياة.»

في المطبخ، سأل الأب زوجة الأب القاسية:

ـ ما هذه الأغنية؟

ـ إنها الطيور. ماذا يمكن أن يكون؟ ردت زوجة الأب الشريرة.

لكن الأب لم يكتف بالإجابة وصعد إلى السطح. وجد ابنه يغني. أعطى الفتى والده سلسلة ذهبية جميلة.

في تلك اللحظة، خرجت الفتاة إلى الحديقة، ورمى شقيقها ثوباً أحمر جميلاً من على السطح.

ركضت الفتاة سعيدة لعرض الفستان على أمها.

ـ انظري أمي، يا له من فستان جميل!

ـ أريد واحداً مثله أيضا! قالت زوجة الأب حسداً. من اين حصلت عليه؟

ـ رماه أخي من على السطح. إنه يغني، ويجلس بجانب أبي.

خرجت زوجة الأب وتحدثت بوقاحة:

ـ إرمِ لي فستاناً آخر، يا فتى!

فأجابها الفتى:

ـ سألقيه من فوهة المدخنة. قفي أسفلها.

ركضت زوجة الأب إلى المدفأة. قام الشاب بنبش السخام من المدخنة.

خرجت زوجة الأب القاسية مغطاة بالسخام، تسعل بلا توقف، وطارت بعيدًا. اختفت في الأفق إلى الأبد.

منذ ذلك الحين، عاش الشابان سعيدان رفقة أبيهما.

3

القصص المدهشة الغريبة

(عن الشياطين والقطط والدببة)

كيس مليء بالغبار

على جبل بعيد كان هناك منزل صغير تعيش فيه فتاة وشقيقها. كانا يشتركان بجمع الغبار بكيس كبير.

في مناسبة معينة، قابلا صياداً تحدث إليهما قائلاً:

ـ لدي وظيفة أفضل لكما.

أعطاهما بندقية وكلباً ضخماً.

ـ يمكنكما الصيد وبيع ما تصطاداه. الأفضل أن تكرسا جهدكما لذلك.

وهكذا، بدأ الشقيقان بالصيد. لكنهما لم يصطادا الطيور، بل الفطر. كان الأخ يطلق النار على الفطر، وتحث الأخت الكلب على التقاطه.

في الليالي المقمرة، كان الأخ يخرج بمفرده في نزهة في الغابة مع البندقية والكلب، وتبقى الأخت في المنزل.

كانت الفتاة تحب أن تغزل في الليل، وكانت تفعل ذلك بشكل جميل: فيرين فيرين فيرين. في ليلة مقمرة، عندما كانت بمفردها، نزلت قطة من المدخنة وحدقت فيها. الفتاة، خائفة، لم تستطع الاستمرار بتدوير مغزلها.

في الليلة التالية، عندما ذهب الأخ للنوم، بدأت الفتاة تدور على عجلة الغزل: فيرين فيرين فيرين. بعد وقت قصير، نزلت القطة من المدخنة وحدقت فيها. الفتاة، خائفة، لم تستطع الاستمرار بتدوير مغزلها.

ليلة بعد ليلة حدث نفس الشيء. حتى أدرك الأخ أن هناك شيء ما قد حث لأخته.

ـ منذ فترة طويلة لم ارك تغزلين، أليس كذلك؟ في الليل لا أسمع صوت (الفيرين فيرين) لعجلة المغزل.

انفجرت الأخت في البكاء وقالت له كل شيء وهي تجهش بالنحيب.

احتضنها الأخ وقال لها:

ـ إهدئي، هذه الليلة سأحل محلك على المغزل.

حل الليل، وجلس الصبي على عجلة الغزل مرتدياً ملابس أخته، وبجانبه فنجان من القهوة الساخنة. لم يكن يعرف كيف يدور المغزل جيداً مثل أخته، لذا خرج الصوت: بوردوكون، بوردوكون، بوردوكون.

عندما نزل القط من المدخنة نظر إليه وقال:

ـ أمس فيرين فيرين، واليوم بوردوكون، بوردوكون. ما هذا؟

أمسك الصبي فنجان القهوة وأجاب:

ـ أنت قط وتتحدث، ما هذا؟

وألقى القهوة المغلية على القط.

ثم جاءت الأخت مع الكلب وقاموا بضرب القط حتى تحول إلى غبار.

ثم جمعوا الغبار داخل الكيس الكبير.

قال الأخ: «لا بد أنه واحد من هؤلاء الشياطين».

عند اكتمال القمر في الشهر التالي، بقي الأخ وحده في المنزل وخرجت الأخت إلى الغابة. جاء شيطان آخر يدق على الباب.

«طق طق طق!» اهتز الباب. أعطني إبهام يدك!

ـ مستحيل! لن أعطه لك! رد الصبي.

« سأكسر الباب وآكلك بلقمة واحدة!»

خاف الصبي وأدخل إبهامه من خلال ثقب المفتاح. امتصه الشيطان

حتى شرب كل ما فيه وتركه ذابلاً مثل زبيبة.

«لن تجرؤ على إخبار أي شخص، هل تفهم؟» إذا لم يكن الأمر كذلك، فسوف أحرق المنزل.

غادر الشيطان، وعادت الأخت، لكن الأخ لم يتفوه بكلمة.

في ليلة البدر التالي، بينما كانت الأخت تمشي عبر الغابة، قرع الشيطان الباب مرة أخرى:

«طق طق طق!» اهتز الباب. أعطني السبابة!

ـ مستحيل! لن أعطها لك! رد الصبي.

« سأكسر الباب وآكلك بلقمة واحدة!»

خاف الفتى المتنكر بهيئة فتاة، وأدخل السبابة من خلال ثقب المفتاح. امتصها الشيطان حتى حتى شرب كل ما فيه وتركه ذابلاً مثل زبيبة.

في اليوم التالي، كان الصبي حزينًا أكثر من أي وقت مضى ينظر إلى أصابعه المجعدة. تنبهت الأخت له.

«ما خطبك يا أخي الصغير؟»

ـ لا شيء لا شيء.

كن الأخت بقيت تنهش رأسها بحثاً عن إجابة لحالة شقيقها الغريبة.

ظهر الشيطان مرة أخرى في ليلة البدر التالية:

«طق طق طق!» اهتز الباب. أعطني الوسطى!

ـ مستحيل! لن أعطها لك! رد الصبي.

« سأكسر الباب وآكلك بلقمة واحدة!»

خاف الفتى المتنكر بهيئة فتاة، وأدخل الوسطى من خلال ثقب المفتاح. امتصها الشيطان حتى شرب كل ما فيه وتركه ذابلاً مثل زبيبة.

والشيء نفسه حدث في ليلة البدر التالي: امتص الشيطان الخنصر حتى تجعد مثل الزبيبة. ومرض المسكين.

كانت الأخت تسأل بإلحاح أن يخبرها بما يجري معه، لكنه لم يخبرها بشيء خوفاً من الشيطان. ثم، في الصباح الباكر، نهضت الأخت من الفراش واغتنمت الفرصة لتسأل شقيقها السؤال نفسه وهو مازال غافياً يحلم. هكذا علمت بزيارات الشيطان الجديد.

عند اكتمال القمر التالي، امتنعت الأخت عن الذهاب للنزهة في الغابة. على العكس من ذلك، بقيت في المنزل مع الكلب الكبير إلى جانبها، يقظاً هو الآخر، بينما الأخ يحمل البندقية في يده. حوالي منتصف الليل، كان هناك دوي غاضب على الباب.

طق طق طق!» اهتز الباب. أعطني البنصر؟

ـ مستحيل! لن أعطه لك! رد الصبي.

« سأكسر الباب وآكلك بلقمة واحدة!»

« تعال إذا كنت تجرؤ!» ردت الأخت.

حطم الشيطان الباب. فأطلقت الأخت الكلب بوجهه ورمى الأخ الشيطان بالبندقية. قاموا بطحنه إلى غبار ووضعوه في الكيس الكبير.

في ليلة البدر التالية، خرج الأخ مع البندقية وترك الكلب في المنزل، فيما لو احتاجت الأخت له. كان يسير بهدوء عبر الغابة، عندما التقى برجل.

ـ ليلة سعيدة أيها الشاب! تتنزه؟

ـ نعم سيدي.

أنا أيضا ذاهب في نزهة على الأقدام. أعيش بالقرب من هنا، في قصر جميل. هل تريدني أن أريه لك؟

ـ أود ذلك كثيراً.

قاده الرجل إلى قصره. دخلوا وخرجوا من خلال أبواب مختلفة وأراه الرجل اثنتي عشرة غرفة. عندما دخلوا الغرفة رقم 13، سأله الرجل:

ماذا فعلت بشقيقي الإثنين؟

لقد كان شيطانًا آخر!

أغلق الشيطان الباب بالمفتاح وترك الصبي محبوسها فيها.

صفر الولد لينبه كلبه، لكنه كان بعيداً جداً!

كان للغرفة نافذة صغيرة يمكن من خلالها رؤية البدر. أخرج الصبي البندقية وأطلق النار على القمر. في منزل أخته، نبح الكلب وأيقظ الفتاة.

بعد وقت قصير، سمع الفتى نباحاً من بعيد. ثم أقرب وأقرب. حتى اثنتي عشرة مرة. في اليوم الثالث عشر، انفتح باب الغرفة وظهرت أخته مع الكلب الكبير وكيس الغبار على ظهرها. لدخول القصر، قام الكلب بدبغ الشيطان وحوله إلى تراب لتجمعه الأخت في الكيس.

جمعوا كنوز القصر وعبروا الغابة برفقة الكلب حتى تصادفوا بقلعة أخرى أكبر وأجمل من السابقة. عاش فيها ملك وملكة وأميرة وأمير. بمجرد أن رأى الفتاة مع الكلب، توسل إليها الأمير أن تتزوج منه. وافقت الفتاة وبقيت تعيش في القصر.

واصل الأخ طريقه عبر الغابة مع الكلب الكبير وكيس الغبار والبندقية. وصل إلى كهف يسكنه تنين رهيب ذي سبعة رؤوس. في كل ليلة اكتمال

القمر، كان يجب إحضار فتاة عذراء إليه ليأكلها؛ إذا لم يكن الأمر كذلك، فسوف يخرج ويحدث الخراب في الضواحي. تم تحديد العذراء التي ستعطى للتنين عن طريق القرعة.

مع دورة اكتمال القمر التالية وقع الدور على ابنة الملك. رأى الصبي، وهو فوق شجرة، وصول الملك إلى الكهف مع ابنته، تليها الملكة، والأمير وأخته، وهم يبكون بجزع.

تركوا الأميرة الشابة وحدها، مرتجفة، عند مدخل الكهف.

نزل الصبي من مخبأه واقترب مع كلبه من مدخل الكهف وتحدث للأميرة:

ـ اختبئي خلفنا.

عندما خرج التنين من اجل الفتاة العذراء، زأر:

ـ ابتعد يا شقي! تلك الفتاة في الخلف هي لي!

ـ انت نفسك لا تصدق ذلك؟ رد الشاب.

«إذاً، سوف أكلكما أنت والفتاة.»

أمر الشاب كلبه:

ـ عليك به!

قطع الكلب رؤوس التنين الثلاثة، وقطع الصبي ببندقيته الرؤوس الأربعة الأخرى. ثم قاموا بطحن التنين وحولوه الى غبار واحتفظوا به في الكيس.

عادت الأميرة إلى القصر برفقة الشاب. تزوجا في اليوم التالي، وأقيمت حفلات كبيرة. في خضم الاحتفالات أشعلوا حريقاً هائلاً. أمسك

الشقيقان بالكيس المليء بالغبار وألقيا به في النار. ارتفعت شرارات لا حصر لها في السماء، ورسمت في الأفق أشكالاً بألوان مختلفة.

قط الطحّان

كان لطحّان وزوجته ثلاثة أولاد. ذات يوما مات الطحّان وزوجه وتركا أطفالهم وحيدين في العالم. لم يكن لديهم أي خبرة لكسب قوتهم، وبعد الكثير من دوخة الرأس، قرروا تجربة حظ كل منهم بمفرده.

تم تقسيم تركة والديهم: الطاحونة والعنزة والقط. بعد أن أجروا القرعة بينهم حصل الأكبر سناً على الطاحونة، والوسط حصل على العنزة، وأصغرهم حصل على القط.

الاكبر كان راضيا عن حصته، أما الأصغر من ناحية أخرى، كان مستاءً للغاية: ما الذي سيفعله في العالم بقط حزين؟ على الأقل الأخ الأوسط سيحصل على حليب الماعز.

في اليوم التالي، ذهب الأكبر للعمل لكسب لقمة العيش، متناسياً إخوته.

الثاني مضى لرعي العنزة.

«طالما تمنحني الحليب، فلن أتضور جوعا».

بقي الثالث في الفراش حتى الظهر، ولم يرغب في النهوض.

ـ إلى أين أذهب؟ رثى حاله. لن أذهب إلى أي مكان مع قط بلا قيمة. أي مستقبل ينتظرني!!

«أفضل مما تتخيل»، تحدث القطة بشكل غير متوقع.

ـ ما هذا؟ صرخ الولد قافزاً. قط ناطق؟

ـ هذه ليست سوى البداية. ستكون بخير معي. تحرك، ارتدي ملابسي ودعنا نخرج من هنا.

توجها إلى الغابة. سارا دون توقف حتى وجدا قلعة. على ما يبدو، فقد عرف القط ذلك المكان.

ـ انظر، قلعة الرجل الذئب.

ـ ماذا... ماذا؟ كان الولد خائفا. أين جئت بي أيها الأحمق؟ لقد ضعنا، لقد انتهى الأمر.

ـ لا تقلق، لن يحدث لنا شيء.

لم يستطع الصبي التوقف عن الاهتزاز.

ضرب القط الباب بحجر وخرج صاحبها.

«صباح الخير» تلعثم الصبي.

ـ كفى خداعا! رد المستذئب بوجه عابس. لماذا أتيت هنا أيها الشقي رفقة قط؟

قال القط: «يقولون إنك المستذئب».

ـ أنا هو... ماذا تريدان؟

تابع القط «ليس الرجل الذئب وحسب، بل الأكثر رعبا في الغابة، الذي يطرد كل الوحوش. فوق هذا يقولون إنك قادر على تحويل نفسك إلى ما تريد؟

ـ كفى ثرثرة! هذا صحيح، وماذا في ذلك!

ـ إذاً بطرقنا على باب هذه القلعة، نكون حفرنا قبرينا بأنفسنا.

«لم يستيقظ أحد ممن رأى هذا المنزل في اليوم التالي.

«نحن ميتان لا محالة».

تظاهر القط بالخوف. من جانبه، كان الصبي يرتجف حقاً.

ـ لأننا سنخسر حياتنا، سوف تقبل بتقديم خدمة صغيرة لنا، أليس كذلك؟ سأل القط.

ـ اية خدمة؟

«حسناً، أظهر لنا قوتك.» على سبيل المثال، هل يمكنك أن تتحول إلى ذئب مرعب؟

ـ بالطبع. انظرا: سوف آكلكما!

لقد تحول إلى ذئب بغيض، وكان الصبي مرعوباً.

ـ مرعب! قال القط. لكن لا تأكلنا حتى الآن، دون أن تظهر لنا قوة أخرى من قوتك.

«ماذا تريد مني أن أصبح الآن؟»

ـ أنت تعرف كيف تجعل نفسك كبيراً. لكن لا تستطيع ان تكون صغيراً؟

ـ بالطبع استطيع!

«حسناً، على سبيل المثال... قال القط». لماذا لا تتحول إلى فأر؟

تحول الذئب فخوراً بنفسه إلى فأر. عندها قفز القط عليه وابتلعه بلقمة واحدة.

«دعنا ندخل القلعة!» قال للصبي. الآن هو ملك لنا.

كانت القلعة مليئة بالكنوز. بقيا ليعيشا فيها.

بعد فترة، خرج الأخ الأوسط من الغابة برفقة عنزته. استقبله الأخ الأصغر بأذرع مفتوحة وأعاده محملاً بالكنوز. أما الأخ الأكبر فقد واصل عمله طحاناً في المطحنة.

بيضة وثلاثة أشياء رائعة

أرملة لها ابن وبنت، وتعمل في بيت رجل ثري جدا.

يذهب الابنان إلى المدرسة يومياً. ذات مرة، في طريق العودة إلى المنزل، لمحا عش طائر به بيضتان صغيرتان كان عليهما شيء مكتوب على القشرة. يقرأ على الأولى: «من يأكلني يصير حكيماً». وعلى الأخرى: «من يأكلني يصبح ملكاً».

نظراً لأنهما لم يتعلما القراءة بعد، فقد حملا معهما البيضتين ومضيا إلى المنزل لتراها أمهم. سألوها عما هو مكتوب على النقوش وطلبا منها أن تقلي لهما البيضتين لأنهما يشعران بالجوع. ومع ذلك، عرضت الأم البيضتين على صاحب المنزل.

قال الرجل: سوف آكلهما بنفسي، وأتزوجك.

ـ عندما تأكلهما لن ترغب في الزواج مني بعد ذلك.

ـ لو شئت سنتزوج أولاً ونأكلهما سوية. حتى حينه حافظي على سلامة البيضتين.

عندما غادرا للزواج، أمر المالك الطاهي:

«جهز هاتين البيضتين حتى نعود».

طبخ الطباخ البيضتين. راقبه الشقيقان من فتحة الباب. واستغلا اللحظة التي كان الطباخ ينظر فيها من النافذة، دخلا على أطراف أصابعهم وأكلا البيضتين؛ الفتاة بيضة الحكمة، والصبي بيضة الملوكية.

في طريق العودة من الزفاف، ورأى صاحب المزرعة ما حدث، غضب وطرد الشقيقين.

توجه الصبيان إلى الأمام دون وجهة محددة. في الطريق التقيا بثلاثة رجال يتجادلون بأعلى أصواتهم.

ـ ماذا يحدث هنا؟ سألا.

ـ لدينا ثلاثة أشياء لا نعرف كيفية توزيعها. هذه القبعة تجعلك غير مرئي. وهذه العباءة تسمح لك بنقل أي شيء إلى أي مكان بمجرد لمسها. وهذه الحقيبة من المال لا تنفد أبداً.

قالت الفتاة: «هذا سهل الحل».

ـ كيف يكون سهلاً؟

«تتبارون في سباق إلى تلك الشجرة هناك، ومن يعود أولاً يختار أولاً، والثاني يختار ثانياً، والثالث يختار ما تبقى.»

واتفق الثلاثة على أنها «ليس فكرة سيئة».

وركضوا بأقصى سرعة.

ثم أمسك الشقيقان بالأشياء الثلاثة وتغطيا بالعباءة واختفيا. سارا دون توقف حتى وصلا إلى المدينة، فقالت الفتاة لأخيها:

ـ وفقا للبيضة التي أكلتها سأكون حكيمة جدا. إذا أعطيتني مبلغًا جيدًا من المال، فسيكون ذلك كافياً بالنسبة لي. لا اريد اي شيء اخر.

أعطاها الأخ كل الأموال التي تريدها من الحقيبة التي لا تنضب، وذهبت الأخت في طريقها لتتعلم كل شيء.

ذهب الأخ على الفور إلى حيث تعيش ابنة الملك، ليطلب يدها، لأن دوره كان أن يصبح ملكاً.

«وماذا لديك لتقدمه لي؟» سألت بنت الملك.

ـ حقيبة من مال لا ينفد.

دعنا نرى كيف هو ذلك!

اعطاها الولد اياها فهربت ابنة الملك ومعها الحقيبة. في الليل، لبس الفتى عباءته وقبعته ودخل غرفة ابنة الملك دون أن يراه أحد. لف الفتاة بالعباءة وأخذها إلى جبل بعيد.

«كيف أتيت بي إلى هنا؟» كيف دخلت منزلي؟

شرح لها الفتى كل شيء بحذافيره، وأراه رداءه وقبعته.

دعني أرى كيف هي...!

تركها الفتى بيديها. بمجرد أن أصبح بحوزتها، اختفت الفتاة عن الأنظار. بدأ الفتى يمشي. في الطريق، رأى شجرة تين.

لمن شجرة التين هذه؟ سأل الناس.

فأجابوه: «إنه تين فاسد، يا فتى». مقابل كل تينة تأكلها، سينبت لك قرن.

«هل هناك أي طريقة للتخلص من القرون؟»

ـ هذا سهل للغاية: يتم إزالتها بالحليب الذي تقدمه شجرة التين نفسها.

قطف الصبي بعض حبات التين وملأ جرة بحليب التين ومضى في طريقه. عندما وصل إلى ذروة منزل الملك، تنكر كبائع. وانتظر أن تمر بنت الملك بجانبه وباع لها التين. حملتها الأميرة إلى المنزل، وأكلتها هي والملك والملكة. بعد فترة، قالت الأميرة لأبيها:

ـ أبي! ينبت قرن على جبهتك.

ـ يا أم! أنت أيضاً.

فأجابها:

ـ يا ابنتي... وأنت أيضاً!

اتصلوا بالطبيب على وجه السرعة، لكنه لم يستطع فعل أي شيء لهم. بعد ذلك، طرق الفتى الباب. في البداية، لم يرغبوا فتح الباب له، لكن عندما قال لهم إنه يحمل دواء لدائهم، أدخلوه على الفور. أولاً، جعل قرن الملكة يختفي. ثانياً قرن الملك. لكنه لم يزله عن جبهة الأميرة.

قال لها: «أولاً، عليك أن تعيدي لي الحقيبة والقبعة والعباءة».

ركضت ابنة الملك بحثًا عن الأشياء الثلاثة.

أزال الفتى القرن عن جبهتها، شكرته واعتذرت له عن تصرفها.

يقول من يعرف الحكاية إنهما تزوجا بعد فترة.

الديسم(6)

منذ زمن بعيد، أختطف أحد الدببة امرأة شابة وحملها إلى مغارته. بعد بضعة أشهر، رزقت المرأة بطفل.

أبقى الدب الأم والطفل محبوسين، وأغلق مدخل المغارة بحجر ضخم.

عندما بلغ الولد خمس سنوات سأل والدته:

ـ ماذا نفعل داخل هذه الحفرة؟

ـ لا يمكننا الخروج، يا بني. يغلق الدب المدخل بحجر ضخم.

ـ سأزيله.

ذهب الصبي وأزاح الحجر ليخرج مع والدته.

كان الدب يجلس بهدوء في مكان قريب. ألقى الصبي الحجر عليه ودعسه في مكانه.

نزلت الأم والطفل إلى القرية، ورحب الناس بهما بحرارة. بقيا ليعيشا هناك.

ذهب الصبي إلى المدرسة، وأطلق عليه الأطفال الآخرون اسم ديسم.

ذات مرة غضب وتسبب في أضرار جسيمة. لذلك طرده المعلم إلى الأبد. كانت الأم مستاءة للغاية، وقال لها الديسم:

ـ حان الوقت لكي أخرج وأرى العالم. مع السلامة.

تخيلوا مقدار حزن المرأة.

صنع الديسم لنفسه عصا وحملها معه. ما أن جربها حتى تكسرت من الضربة الأولى.

صنع أخرى سميكة وكسرها أيضاً. وأخيرا حصل على عصا قوية في حدود قدرته العضلية.

انطلق بطريقه وبعد فترة التقى بامرأة قوية كانت تحمل صخرة كبيرة تمنعها من السقوط على الكنيسة.

ـ كم يدفعون لك مقابل هذه الوظيفة؟ سأل.

ـ تسعة ريالات.

ـ سأعطيك عشرة إذا أتيت معي.

أسقطت المرأة القوية الصخرة وانطلقت خلف الديسم. انهارت الكنيسة تماماً.

بعد ذلك بقليل، صادفا رجلاً يدك الجبال بالجلوس عليها.

ـ كم يدفعون لك مقابل هذه الوظيفة؟

ـ عشرة ريالات.

ـ سأعطيك أحدى عشرة، إذا أتيت معنا.

انضم رجل تعبيد الجبال إلى المجموعة. للمشي بشكل أكثر راحة عبر السهل، كان رجل تعبيد الجبال يجلس على أي تل يعترض طريقهم. في مرة جلس على صخرة ضخمة، ورغم قوته لم يستطع تسطيحها.

ـ آي أي... اشتكى وهو يمسك ظهره.

فرفعت المرأة القوية الصخرة وأبعدتها عن الطريق. بعد المشي لمسافة مناسبة، رأوا كهفاً في جبل. أرادوا معرفة ما بداخلها. قام الديسم بإيصال المرأة القوية بحبل مربوط حول خصرها. أعطاها جرساً لتقرعه إذا حدث خطأ ما. سرعان ما رن الجرس.

ـ الجو مظلم للغاية ولا يمكنني الذهاب أبعد من ذلك. قالت

قرر الديسم: «سأدخل». إذا سمعتم دفقات الجرس، اياكما أن تسحباني. على العكس من ذلك، أطرحا مزيداً من الحبل، بحيث أمضي إلى الداخل أكثر وأكثر.

دخل الكهف ودق الجرس حتى وصل إلى القاع. هناك وجد الباب. دق عليها بقوة، لكن لم يفتحه له أحد. فحطمه إلى أشلاء بهراوته. في الداخل كانت هناك فتاة ترتجف من الخوف.

ـ ما الذي اتى بك ها هنا أيها الشاب؟

ـ ها أنا وصلت.

ـ أهرب ما دمت تستطيع الآن. إذا استيقظت الشياطين، فأنت ضائع.

ـ هؤلاء لا يخيفونني.

ثم قالت الفتاة:

ـ يفضل الشياطين القتال بالسيوف مع من يدخل هنا. عندما يستيقظ أحدهم، سيقدم لك سيفاً. اختر الأكثر اعوجاجاً وقِدماً. السيوف المستقيمة اللامعة لا تقطع.

في تلك اللحظة ظهر أحد الشياطين.

ـ ماذا تريد؟

أجاب الديسم: «ما تريده أنت».

سنتقاتل بالسيف. تناول واحداً؟

أمسك الديسم السيف الأعوج والأكثر قذارة. بالضربة الأولى قطع أذن الشيطان الذي هرب مرعوباً.

احتفظ الديسم بأذنه في كيس، وأمسك الفتاة من يدها وقال:

ـ تعالي معي.

خرجا من الباب، لكنهم لم يتمكنا من تسلق الكهف، لأن اللذان كانا يمسكان بالحبل قد ملا وغادرا. «يا للأصحاب!» أخذ الديسم الأذن من الحقيبة وعضها. على الفور ظهر الشيطان الذي فقد أذنه.

ـ آي آي... لا تعضني بعد! قل لي ما تريد؟

ـ إخرجنا من هنا.

فرمى بهم الشيطان إلى الخارج. لكن الديسم نسي التقاط هراوته، فعض أذنه مرة أخرى.

ـ آي آي... لا تعضني بعد! قل لي ما تريد؟

أحضر لي هراوتي لقد نسيتها هناك.

فأرجعها له فوراً.

نزل الديسم رفقة الفتاة من الجبل إلى القرية وتزوجا.

4

حكايات الجنيات

تقديم

إليكم بعض حكايات جنيات الماء أو اللاميا(7) ثروى وكأنها حدثت بالقرب من المنزل؛ على الأقل هكذا قصها أسلافنا، كما لو أنها حدثت لأهالي البلدة والمنطقة المحيطة بها. من الشائع جداً في بلاد الباسك وفي أماكن أخرى سماعها هكذا.

لكن ما هي اللاميا؟

اعتادت جدتي أن تقول إنها قابلت واحدة في مجرى مائي في منطقة أستياسو؛ كانت ضخمة بحجم لاعب كرة السلة. كان وجهها شاحباً تماماً، وعيناها زرقاوان جداً، ولها شعر ذهبي طويل يصل إلى ركبتيها. كانت قدماها منفرشتان، مثل قدم البطة، وردية اللون.

جدي الآخر في منزله في منطقة لامياتيغي، بالقرب من منزل جدتي، كان يقول إنه وجد في حياته العديد من اللاميا في البئر المجاورة لمنزله. لقد أطلقوا على بيت المزرعة هذا الاسم لسبب ما. قال إن بعض اللامياس كانت ضخمة. البعض الآخر، صغيرة الحجم؛ كان للأخريات القدرة على تغيير الحجم وفقاً لما يناسبهن؛ وكان لهن ألوان مختلفة: بعضها بيضاء للغاية، والبعض الآخر نحاسية، وأخرى زرقاء أو صفراء، ورأى أيضاً بعضاً منها سوداوات؛ أما بالنسبة للقدمين، فغالباً ما كانت منفرشة، ولكن أيضاً على شكل قدم ماعز أو قدم شاة. عرف جد لامياتيغي كيفية التعامل مع اللامياس: لا تنظر في أعينهم أبداً، أعطهن عصير التفاح ومنتجات الألبان من وقت لآخر، ولا تفكر أبدًا في تقبيلهم، وإذا سمعتهن يغنين، أجبهن ببعض الأشعار الجميلة. وبالتالي، لم يكون لديك أية مشاكل معهن في أي وقت.

لكن جدتي قد التقت فعلاً بإحدى الـ لاميا. ونظراً لأنها التقت بواحدة

فقط طوال حياتها، لم تعرف كيف تتعامل معها. لكننا سنترك هذه القصة لوقت لاحق.

ما هي اللامياس؟ حسناً، أود أن أقول إنها صور لمشاعرنا وعواطفنا. تعيش اللامياس في آبار وكهوف، تماماً مثل المشاعر المحبوسة بداخلنا، والتي تغرقنا بالفرح أو الحزن. إذا عرفنا كيف نتعامل معها بشكل جيد، وإذا كنا نطعمها من وقت لآخر، فإنها تتركنا وشأننا وتمنحنا فرحة العيش. ومع ذلك، عندما تفيض المشاعر والعواطف، فإنها تتمكن منا، بل تصل إلى أقصى الحدود، فإنها تسبب الضرر والدمار. اللامياس تطالب بالطفل الذي نحمله في الداخل؛ وعلينا أن نقنعها أن ترضى بظل ذلك الطفل. وعوضاً عن ذلك، سيظهرن لنا من أعماق البئر أو الكهف، الجمال الخطير لظلنا.

حكاية جنية أستياسو

كان لجدتي، في أيامها شبابها، ولد ذو بشرة وردية وشعر أسود داكن. في البيت كان عليها أن تعمل بجد للبقاء على قيد الحياة، لذلك اعتنت جدتي بالطفل وعملت بلا كلل، غالباً بيد واحدة، بينما كانت ترضع الطفل. كانت طويلة جدا، بحجم لاعب كرة سلة. كانت تربط شعرها الداكن بهيئة كعكة مستديرة تشكلها باستخدام مشبك خشبي جميل.

ذات صباح، استيقظت قبل الفجر والطفل على صدرها.

ـ هناك الكثير من الملابس لغسلها.

كان الجد يشخر بسلام وكانت تشعر بالأسف لإيقاظه. لذلك وضعت الطفل بجواره ونهضت من السرير.

« سأقوم به بنفسي». قالت

أمسكت بسلة كبيرة مليئة بالملابس المتسخة ونزلت إلى النهر في الظلام، لأنه في ذلك الوقت لم يكن هناك مياه جارية أو كهرباء في القرى. غسلت الملابس برشاقة على لوح عند حافة النهر، وعصرتها بشدة ثم أعادتها إلى السلة. كانت على وشك العودة إلى المنزل، عندما رأت فجأة شيئاً ما على الضفة الآخر للنهر؛ ترى ماذا يكون؟... واتضح لها أنها فتاة ذات بشرة ناصعة البياض، بطول الجدة. وقفت وعيناها مغمضتان بينما كانت تمشط شعرها الذهبي الطويل.

عند هذا الحد، فتحت الجنية لمياس عينيها. رأت الجدة شعاعا أزرق ينبثق من عينيها. فوجئت لمياء بالتحديق في وجهها باهتمام. والجدة بدورها كانت تراقبها وهي مبتهجة. الاثنتان في صمت تام. لم يكن يسمع سوى هدير مياه النهر.

لم تدرك اللاميا، الغارقة في التفكير، أنه في تلك اللحظة فقط، كان شعاع الشمس يطل من خلف الجبال.

ـ أوه! صرخت متألمة وأغمضت عينيها.

تؤذي أشعة الشمس عيون اللاميا كثيراً، لأنها كائنات ليلية.

سبحت الجنية لاميا أعلى النهر واختفت في العتمة. ووصل إلى أذني جدتي نداءً غريباً: كلين، كلين، كلين! وميزت عيناها بريقاً ذهبياً في الضفة المقابلة.

دون أن تفكر لمرتين، ركلت قبقابها الخشبي، وعبرت النهر حافية القدمين. التقطت من الأرض مشطًا ذهبياً رائعاً. وفكت عقدة شعرها وراحت تمشط شعرها الأسود الطويل.

ـ ياه! يا للروعة!

لم تمشط شعرها قط بمشط مثل هذا، جعل فروة رأسها ترتعش بنعومة، كما لو كانت الطيور ترفرف تحت شعرها.

ـ يا للروعة!

ثم التقطت عرها بهيئة كعكة وربطته بالمشبك الخشبي. عبرت النهر مرة أخرى، ولبست قبقابها الخشبي. حملت السلة، وعادت إلى بيت المزرعة.

طلبت من جدها نشر الملابس أثناء رعايتها للطفل وإعداد الإفطار. بعد ذلك، كرست الأسرة بأكملها نفسها للأعمال المنزلية في المزرعة، والتي لم تكن قليلة إذ شغلت اليوم بأكمله.

ناموا مبكرين، متعبين جداً. في منتصف الليل، طرق أحدهم الباب بقوة. جلس الجد في السرير، لكن الجدة طوقت رقبته بذراعها القوية

وطرحته أرضاً، ولم تسمح له بالحركة.

ـ إششش! همست له.

اشتبهت الجدة بمن كان يدق الباب، لكنها لم تخبر الجد. عاودوا الدق لثلاث مرات. بعد ذلك، ساد الصمت كل شيء. فرجعوا للفراش من جديد. في صباح اليوم التالي، في وقت مبكر جداً، نهض الجد أولاً بقصد إطعام الأبقار وتحضير الإفطار. عندما فتح الباب الرئيسي، وهو لا يزال نصف نائم، صدم رأسه بحجر.

ـ بحق الجحيم، ما هذا؟

كومة كبيرة من الحجارة سدت باب الخروج. لم تكن هناك طريقة للمرور. أيقظ الجد جميع أمن في المنزل وهو يصرخ بأعلى صوته. بدأ الكبار والصغار في إزالة الحجارة والمزيد من الحجارة حتى الظهر، والجدة أيضاً وهي تحمل الطفل بذراع واحدة، على الرغم من عملها بيد واحدة فقط، إلا أنها قامت بإزالة الحجارة أكثر من أي شخص آخر، لأنها كانت قوية جداً.

«من فعل هذا بنا؟» شكا الجد.

بعد تناول الطعام، استراحوا لفترة واستمروا في عمل المزرعة. والجدة، في كل مرة تذهب لإرضاع الطفل، دون أن يراها أحد، تستخرج المشط الذهبي من جيبها وتمشط شعرها، وتهمس (يا للروعة، يا للروعة!!) دون توقف.

عند منتصف الليل، دقوا الباب مرة أخرى. قامت الجدة بلف ذراعها السميكة حول رقبة الجد، تهمس به: صه، صه. وفي الصباح، عندما فتح الجد الباب مرة أخرى، هذه المرة لم يصطدم برأسه، لأنه قد حزر الأمر.

يا لها من كومة حجارة! أعلى بكثير من اليوم السابق.

فتح النافذة وصرخ بأعلى صوته طلباً للمساعدة من سكان البلدة. جاء العديد من الجيران وتمكّنوا معاً من إزالة جميع الحجارة. وفي تلك المناسبة أيضاً، كانت الجدة هي من حمل معظم الحجارة بيد واحدة. في نهاية العمل، شكروا الجيران على مساعدتهم، وقدموا لهم عصير التفاح والجبن، وكرسوا بقية اليوم لعمل المزرعة.

في المساء، كما هو متوقع، كان هناك دق آخر على الباب. هذه المرة قفز الجد، ولم يترك الجدة تطوق رقبته بذراعها القوية.

وأوضح: ـ علينا أن نفتح الباب. خلاف ذلك، إذا قاموا بتكوين كومة حجارة أكبر، فستكون نهايتنا. تحت الضغط، سينهار المنزل ويسحقنا جميعاً.

رفضت الجدة، لكنها أدركت أنهم في خطر جسيم؛ لذا مشت خلف الجد والطفل في ذراع وفي يدها الأخرى تحمل قنديلا مضيئاً. عندما فتح الجد الباب، ظهرت أمامه شخصية لميا ضخمة، عابسة، وأطلقت شعاعاً أزرق مرعباً من عينيها، وأصدرت صوتاً غريباً جعل شعر الجد يهتز من الخوف. سأل الجد متمتماً بين أسنانه:

ـ ماذا تريدين منا؟

مدت اللاميا سبابتها وأشارت إلى الجدة.

ـ يا سيدة المنزل، أعيدي لي مشطي!

الجدة لم يكن لديها نية في إعادته. كان مشطاً ناعماً!!

سأل الجد مذهولًا:

ـ لكن أي مشط؟

نظرت الجدة في الاتجاه الآخر، وكأنها لا تعرف شيئاً.

أدخل الجد يده في جيب مريلة الجدة وأمسك بالمشط، هامسًا في أذنها:

ـ إذا لن نرده لها، فسوف يسقط المنزل علينا وسنموت جميعاً.

لذلك أعاد المشط إلى الجنية لميا، التي بمجرد أن أمسكته في يدها بدأت تمشط شعرها دون توقف. استرخى جبينها المجعد، ولمعت عيناها باللون الأزرق الجميل.

ـ ثلاثة أيام بدون تمشيط شعري ـ قالت بين التنهدات ـ ثلاثة أيام! لقد كانت أياماً مؤلمة للغاية.

ـ هل انت سعيدة الان؟ سألها الجد.

ـ بالطبع سعيد جدا! ردت دون توقف عن تمشيط شعرها.

ـ هل ستتركيننا وشأننا؟

توقفت لميا عن تمشيط شعرها.

ـ لا.

ـ لا؟ لكن لماذا؟

لقد عانيت كثيرا لمدة ثلاثة أيام. هذا لن يبقى كما هو.

لذلك قدم لها الجد الجبن والحليب واللبن الرائب والجوز والبندق وعصير التفاح. أكلت كل شيء: قرص جبن كامل، إبريق حليب، وعاء من اللبن الرائب... كل شيء. حتى شبعت.

ـ كان كل شيء لذيذا!

فركت بطنها ومشطت شعرها مرة أخرى، مبتسمة ابتسامة راضية.

ـ إذاً سوف تتركيننا وشأننا؟» سألها الجد.

ترددت لميا: ـ لا!

«لكن، لكن، لقد قدمنا لك كل شيء.» ليس لدينا أي شيء آخر. في هذا المنزل نحن فقراء. ماذا تريدين منا؟

أشارت اللاميا بسبابتها:

ـ هذا الطفل!

احتضنت الجدة الطفل بقوة إلى صدرها. مستحيل! لن أعطيه لها. بل الموت بدلا من إعطائها الولد.

لكن الجد اقترب منها وهمس في أذنها:

ـ إذا لم نعطها الطفل فسوف نموت جميعاً في المنزل مدفونين تحت الحجارة. يقولون أيضاً أن اللاميا تعتني جيداً بالأطفال. ربما سرعان ما تتعب منه وتعيده لنا.

رضخت الجدة «موافقة».

كانت اللاميا لا تزال تمشط شعرها، منشغلة عنهم وغير منتبهة لما يقولون. لذا حملت الجدة القنديل على ارتفاع الطفل، محدثة ظلاً. وقدمت الظل إلى لميا:

ـ هذا ما تريدين، خذي الطفل!

اللاميا ذكية جداً في بعض الأشياء، لكنها غبية تماماً بالنسبة لأشياء أخرى. لهذا أمسكت بظل الطفل واستدارت تركض وتقفز وتصرخ بفرح.

لم تظهر اللاميا بعد ذلك اليوم. وذلك الطفل عرفته يافعاً. هو عمي سابينو، الذي بالمناسبة، قد عاش بلا ظل حتى لو ظل طوال منتصف

النهار تحت أشعة الشمس الحارقة.

الجنية تشيد جسراً

مضى شاب من منطقة آدونا للرقص في يوم القديس يوحنا في ميدان أندوان،(8) ورقص حتى حلول الليل مع فتاة جميلة من منطقة آماسا. في وقت لاحق، رافق الفتاة إلى المنزل، على ضوء القمر، مشياً عبر حي سان استيبان حتى المنزل الذي تعيش فيه الفتاة. دعها بقبلة، وقرر الشاب أنه، بدلاً من التجول في بيابونا وثيثوركيل، حيث كان هناك جسر يقطع نهر أوريا، سيذهب مباشرة عبر المروج والحقول، إلى حي آغاراي وسيقوم بعبور النهر قافزاً من حجر إلى حجر، لأن النهر لم يكن غزير المياه، ليصعد إلى منزل العائلة في قرية أدونا، إذ كان عليه أن أستيقظ مبكرا في اليوم التالي.

وصل إلى ضفة نهر أوريا وبدأ في استكشاف المكان المناسب له للعبور، لكن في ضوء القمر لم يتمكن من رؤية الصخور بوضوح وظل متردداً لفترة طويلة، إذا كان يمضي من هنا أو من أو من هناك! عند هذا الحد داعب اذنيه صوت عذب.

«ماذا تفعل هنا في هذه الساعة، أيها الفتى الطيب؟»

ظهرت أمامه فتاة جميلة، أطول منه، ذات بشرة وشعر نحاسي اللون شديد اللمعان. كانت جميلة حقاً. على الرغم من الضوء الخافت، لاحظ الصبي أن لها قدما عنزة. «لميا... جنية!» تساءل مع نفسه.

ـ الحقيقة أود عبور النهر، لكني لا أرى أين أضع قدمي.

ـ إذا أردت، سأحملك على ظهري وأوصلك إلى الشاطئ الآخر.

تردد الشاب للحظة، لكن الوقت كان متأخراً وعليه الاستيقاظ مبكراً. أجابها أخيراً بنعم.

جثت اللاميا أمامه، وصعد الفتى على ظهرها، ونقلته لميا بغمضة عين إلى الجانب الآخر، بقفزات معدودة. كان شعرها يبعث رائحة مسكرة، مثل العشب الطازج والنعناع. عندما تركته في الضفة الأخرى، شكرها الفتى.

«لقد قدمت لي معروفاً عظيماً».

ـ ليس بالأمر الجلل. بخدمتك.

بدأ الفتى في المشي لتسلق جدار آنشيبا باتجاه آدونا.

صاحت به لميا: انتظر. ألن تعطيني قبلة شكر؟

قبلها الفتى.

أصبحت بشرة لمياء النحاسية أكثر احمراراً، كما لو أن ناراً مشتعلة بداخلها.

«لقد مضى وقت طويل منذ أن قبلني فتى. آخر قبلة تلقيتها كانت على هذا الشاطئ منذ مائة عام. منحني اياها فتى مثلك.

شهقت اللاميا بتنهيدة طويلة شجية.

ـ أنا سعيدة للغاية لأنني، على شرفك، سوف أقوم ببناء جسر فوق هذا النهر بيدي، حتى تتمكن من العبور دون أن تبلل قدميك في كل مرة تأتي فيها للزيارة.

لم يكن لدى الفتى نية لرؤية اللاميا مرة أخرى؛ لقد ذهل من كلماتها.

تابعت لمياء: «بالطبع أفعل». بعد أن قبلتني، فأنت ملزم بالزواج مني. عندما ينتهي الجسر، سيكون لدينا حفل الزفاف هنا على ضفة النهر.

صعد الصبي حزيناً متفكراً إلى منزله في أدونا. واستمر عبوسا في الأيام التالية. في كل مرة يذهب فيها إلى أماسا لزيارة الفتاة التي يحبها،

كان يتطلع نحو أغاريث بقلق، ويعود إلى أدونا دائراً دورة كاملة على طول الطريق حول بيلابونا وثيثوركيل، تحسبا حتى لا يلتقي بالجنية. على ارتفاع أغاريث، على ضفاف نهر أوريا، في البداية تم تكديس عدد قليل من الحجارة، ولكن بعد أسبوع ظهر أول أقواس الجسر.

قال الناس أن البلدية تبني جسراً... لقد حان الوقت.

لم ير أحد من الناس يعمل هناك، لأن اللاميا كانت تشتغل ليلاً، لكن الناس لم تتفاجأ، لأنه في ذلك الوقت عمال البلدية كانوا يختفون أكثر مما يظهرون علناً.

اعترف الشاب بحيرة لصديقته بأنه قد قبل اللاميا. في البداية، عبست الفتاة وطلبت منه أن ينساها. لكنها بعد ذلك اتصلت به خفية.

«سوف أساعدك في التخلص من اللاميا، لكن لا تفعل المزيد من الهراء... هل فهمت ما أقول؟»

وافق الشاب محرجاً ووعدها بما أمرته.

تعال معي إلى المنزل.

أخذته إلى الحظيرة، وأمسكت ديكاً وأعطته للشاب.

ـ خذه معك. وُلد هذا الديك في يوم سان خوان العام الماضي، وكان أخرساً حتى يوم سان خوان هذا العام؛ صدح بأول كوكوكوكووو عندما أشعلنا النار. لذلك فهو ليس ديكاً عادياً. في الليل، يجب أن يكون معك دائماً. لا تفكر حتى في المشي في الظلام بدون صحبة هذا الديك.

امتثل الشاب بدقة لما نصحته صديقته.

نزلت الفتاة إلى أغاريث تلك الليلة وبقيت تنتظر بالقرب من الجسر. وعند منتصف الليل ظهرت اللاميا وواصلت أعمال البناء وهي تغني:

«عند الساعة الواحدة والساعة الثانية والثالثة

من اليمين وبالعكس

سأنهي هذا الجسر فوق البئر

وسأتزوج من شاب طيب».

ظهرت الفتاة أمامها وواجهتها:

ـ مرحباً، هذا الشاب هو صديقي.

فوجئت اللامية في البداية. ثم سخرت من الفتاة:

ـ اسمي أنا اللاميا، وأنتِ لا شيء، لا تقدمين ولا تأخرين!

لكن الفتاة لم تخف منها.

ـ دعينا نتراهن... الشاب سيكون لي إذا لن تنهي الجسر في ظرف ثلاثة أيام.

بمجرد سماعها لكلمة رهان، وافقت اللاميا واثقة من نفسها.

عادت الفتاة إلى أماسا.

في اليوم الثالث، لم يبق أمام اللاميا سوى القليل لإنهاء الجسر. قبل حلول الظلام، اجتمع الشابان في مقلع آنشيبا، وعيناهما مفتوحتان على مصراعيهما.

«ستنهيها قبل أن تشرق الشمس». قال الفتى بحزن. لقد ضعت!

ومع ذلك، كانت الفتاة هادئة للغاية.

ظهرت لمياء في منتصف الليل وذهبت إلى العمل دون إضاعة أي وقت؛ قبل الفجر، كانت تحتاج فقط إلى وضع الحجر الأخير وذهبت

إلى المحجر لالتقاطه. عندما بزغ الفجر، لم تعد قادرة على الاستمرار في العمل، لأن اللاميا كائنات ليلية؛ ولكن كان لا يزال أمامها متسع من الوقت.

«أنا فقط بحاجة إلى حجر واحد!» ـ كررت وهي تغني أثناء السير باتجاه المحجر.

في تلك اللحظة، همست الفتاة في أذن صديقها:

اسحب بقوة على ذيل الديك!

أطاعها الصبي وصاح الديك «كوكوكوكووووووو» بقوة غير عادية.

ـ أوه، يا له من يوم تعيس! صرخت وبكت اللاميا. لقد خسرت الرهان. اسمي ضاع ولا معنى لي بعد اليوم!

خائفة، وهي تعتقد أن الفجر قد طل أخيراً. هربت وهي تصرخ في مجرى النهر صعوداً إلى آنتيبا. ومنذ ذلك الحين لم يسمع أحد عن تلك اللاميا مرة أخرى.

خرج الشابان من مخبأهما. وضعا بينهما الحجر الأخير وأكملا بناء الجسر. في المكان نفسه قطعا وعداً متبادلاً بالعيش لما تبقى لهما من أيام قادمة.

جنية في المهد

في مطحنة منطقة زيزركيل، أنجبت أم شابة طفلة جميلة، كانت فرحة المنزل. كان لديهم بستان كبير بالقرب من النهر، حديقة خصبة للغاية، تصلها كل المياه التي يحتاجونها. بجوار البستان، تم زرع حقل من الكتان، وخلف الحقل امتدت غابة لا نهاية لها من خشب البلوط والزان.

كان البستان من مسؤولية الأم الشابة، لأن الآخرين كانوا مشغولين جداً بالمطحنة والإسطبل. في اليوم التالي للولادة، عادت الشابة للعمل في الحديقة والطفلة بين ذراعيها. في ذلك الوقت كانوا يتصرفون على هذا النحو؛ كانت الحياة صعبة وكان هناك مهام لا حصر لها يجب مواجهتها.

استمتعت الفتاة بعملها في البستان، لقد بدا ساحراً بالنسبة لها أن تراقب كيف تنبت النباتات وتنمو، تماماً مثل ابنتها المولودة حديثاً. ومع ذلك، كان هناك شيء جعلها غير مرتاحة. من وقت لآخر، كانت أصوات التهديد تصلها من الغابة: الثعلب الذي يجتاز الأدغال، والخنزير الذي ينخر؛ ولن يكون من المستغرب أن تختبئ بعض الجنيات بين الكتان أو في أنفاق النهر. هي الأماكن التي تتردد عليها جنيات اللاميا. ويقال إنه في النهار تخرج وأعينها مغمضة لارتكاب جريمة: يسرقن الطعام، أو يأخذن ما يحلو لهن من الثياب أو يسرقن طفلاً.

Telegram:@mbooks90

عندما كانت الشابة تعمل في الحديقة، أجبرت على ترك الطفلة على العشب ملفوفة بقطعة قماش. كانت تراقبها بحرص وهي تحفر التربة، حتى لا ينتزعها منها الثعلب أو الخنزير أو اللاميا.

نشأت الفتاة جميلة كزهرة، ذات خدود حمراء. ذات صباح، بينما كانت الشابة تعمل في البستان، نادت عليها الجدة من نافذة المطبخ:

ـ هل يمكنك أن تجلبي لي الكراث عندما تستطيعين؟

التفتت الشابة لتجيبها بصوت عالٍ، لأن الجدة كانت صماء قليلاً.

ـ نعم، أنا قادمة على الفور»

سرعان ما التفتت إلى الطفلة وهي متوترة. لم تنظر لها إلا لبضع ثوانٍ فقط، لكنه لم تكن تثق بتركها وحدها. تنفست الصعداء عندما رأت أن الطفلة كانت تلعب بسعادة. عندما أنهت عملها، حملتها بين ذراعيها وقطفت شدة من الكراث وعادت إلى البيت. بينما كانت الجدة تحضر طبق البطاطا بالكراث، جلست الأم الشابة لإرضاع طفلتها.

«لا أعرف، لا أعرف...» خرج من فمها، تقريباً دون تفكير.

ـ لا تعرفين... ماذا؟

ـ لا شيء لا شيء.

لكن الأم كانت مضطربة. كانت تحمل ابنتها الصغيرة بين ذراعيها، نعم، لكنها شعرت بشيء غريب، شيء مختلف. لم تقل أي شيء آخر، لكن برزت تجاعيد القلق على جبهتها، ورجفة على شفتيها لم تمر دون أن تلاحظها الجدة. لم يلاحظ أحد آخر.

مرت الساعات. بالكاد تناولت الأم لقمة واحدة. بحلول المساء، كانت يداها ترتجفان أيضاً. نظرت إليها الجدة من زاوية عينها. في النهاية، لم تعد تستطيع تحمل الأمر وتحدثت معها:

«لا أعرف، لكني أقول إنك قلقة للغاية.

أجابت الأم الشابة: «حسناً، لا أعرف».

قولي لي شيئاً، دعينا نرى ما إذا كان بإمكاننا اكتشاف ذلك.

ـ سأخبرك بشيء فظيع، لكن هذه البنت ليست هي نفسها طفلة هذا الصباح.

بقيت الجدة مفكرة.

ـ البنات يتغيرن بسرعة، لكن ليس من الصباح الى الليل.

ـ هذا ما اقوله. يحزنني التفكير في هذا الأمر. ربما هو مجرد تخيل.

ـ يمكننا عمل اختبار.

ـ أي اختبار؟

همست الجدة في أذن الشابة حتى لا تسمعها الطفلة.

ـ إذا كان هناك تغيير، فلا بد أن تكون اللاميا ورائه. غالباً ما يحدث أن تأخذ اللاميا طفلاً وتترك رفيقة لها في مكانه متحولة إلى طفل.

ـ وكيف نكتشف ذلك؟

ـ همست الجدة بصوت منخفض في أذن الشابة حتى لا نسمعها نحن القراء.

تركت الأم الشابة طفلتها في المهد وذهبت إلى الإسطبل لتحلب البقرة. عندما عادت مع الحليب، وضعته الجدة على الموقد ليغلي. بعد فترة، بدأ الحليب في الفوران. لم ترفع الطفلة عينيها عن القِدر، عيناها الواسعتان مثل صحنين. عندما فاض الحليب عن القدر، قفزت الطفلة على قدميها.

ـ الأبيض يرتفع! يرتفع الأبيض! صرخت بصوت خشن، متفاجئة.

أمسكتها الجدة بإحكام وربطتها بحبل إلى المهد، وهي تضغط عليها بقوة.

ـ دعيني أذهب، دعيني أذهب! صاحت جنية اللاميا.

تجمع كل من في المنزل حول المهد مذعورين.

ـ ولكن ما هذا؟ صاح زوج المرأة الشابة. ماذا حدث لابنتنا؟

لم يصدق ما كانت تقوله له الجدة: أن الفتاة ليست إلا جنية اللاميا.

أصابه بالدوار واستلقى على مقعد طويل.

استمرت البنت في الصراخ حتى يتم إطلاق سراحها. غطت الجدة فمها بيد واحدة.

ـ إذا كنت تريدين مني السماح لك بالرحيل، فاتصلي بصاحباتك اللاتي يخطفن الأطفال وأخبريهن أن يعدن لنا البنت.

فتحت الجدة النافذة على مصراعيها. صاحت لمياء على صاحباتها ليحضرن البنت، أن يحضرنها بسرعة.

بعد فترة، طرق شخص ما على الباب. ركضت الشابة لفتحه. وجدت ابنتها الصغيرة ملقاة على الأرض، ملفوفة بقطعة قماش ناعمة ومعطرة للغاية، مصنوعة من أجود أنواع الكتان.

حملتها الأم الشابة بين ذراعيها وعادت إلى المطبخ وهي ترضعها.

ـ ها هي قد عادت لي! هذه هي ابنتي!

حينها أطلقت الجدة سراح الجنية، التي قفزت فوراً من النافذة وهربت وهي تصرخ.

ـ في هذا المنزل لن يعوزه الأطفال أبداً!

سمعوا صراخها من بعيد.

المترجم

د. عبدالهادي سعدون

(بغداد 1968) كاتب وأكاديمي ومترجم وناشر. مقيم في إسبانيا منذ عام 1993. حالياً أستاذ اللغة والأدب العربي في جامعة مدريد المركزية. دكتوراه في الآداب والفلسفة من جامعة مدريد بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف. حاز عام 2009 على جائزة الإبداع الأدبي (جائزة أنطونيو ماتشادو العالمية في إسبانيا) عن كتابه الشعري (دائماً)، جائزة مدينة سلمنكا عام 2016 عن مجمل أعماله الأدبية، وجائزة صندوق الشعر العالمي في مدريد 2016، كما سبق وحاز على جائزتين عربيتين في قصة الأطفال ورواية الخيال العلمي. كمترجم نقل من الإسبانية إلى العربية أكثر من ثلاثين كتاباً لأهم أداء إسبانيا وأميركا اللاتينية مثل ثربانتس، أنطونيو ماتشادو، رامون خمينث، لوركا، ألبرتي وغيرهم. من بين كتبه الأدبية: انتحالات عائلة 2002، حقول الغريب 2010، مذكرات كلب عراقي 2012، تقرير عن السرقة 2020 ومتنزه الحريم 2022.

honen itzulpenak Etxepare Euskal Institutuaren diru _ laguntza izan du.

La traducción de este libro ha sido subvencionada por el Instituto Vasco Etxepare

تم دعم الترجمة من المعهد الثقافي (آشيباري) في إقليم بلاد الباسك

Juan Kruz Igerabide

Euskal Herrietako ipuinak (Cuentos del país de los vascos)

Traducida al árabe por: Abdul Hadi Sadoun

---

(1) آخيتو: معناه فص ثوم أو حبة ثوم. والفتاة لصغرها سموها (ثومة). القاص يبدأ الحكاية بـ(زمن ماريا دي لوس آخوس) أي ماريا أم الثوم وهي بداية موحية مثيرة وغرضها واضح.

(2) ماريبيوخوسا: معناه ماريا المقملة، المليئة بالقمل.